الصبر واليقين

تعليم ذاتي لبيان أهمية الصبر واليقين في حياة المسلم

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com
Rabwah

الصبر واليقين

تعليم ذاتي ضمن سلسلة
السلوك والتزكية للمسلم الجديد

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com

ⓒ جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالربوة ، ١٤٤٥هـ

مركز أصول
سلسلة السلوك والتزكية (٨) : الصبر واليقين. / مركز أصول -
ط١. .- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٢٠ ص ؛ ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٥٧١٣
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١٧-٢١-٨

- قام المركز بتصميم هذا الإصدار.
- يتيح المركز طباعة الإصدار ونشره بأي وسيلة مع الالتزام بالإشارة إلى المصدر، وعدم التغيير في النص.
- في حالة الطباعة يجب الالتزام بمعايير الجودة التي يعتمدها مركز أصول.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن الله خلق الإنسان في هذه الحياة لحكمةٍ أرادها، وأسكنه الأرض وكرَّمه بنعمة العقل التي سما بها فوق جميع ساكنيها، وسخَّر ما في السموات والأرض لخدمته ومصلحته، وجعل في كلِّ شيءٍ آيةً تدلُّ عليه سبحانه ليهتدي ذوو الألباب والفكر إليه، وأرسل لهذا الإنسان رسلًا هداةً، يدعون إلى الإيمان به وإفراده بالعبادة كلَّ شاردٍ عنه، وشرع لهم من الدين شرائع تناسب أممهم، وكلَّف مَن آمن به بعباداتٍ من فرائض ونوافل تشوبها المشقَّة الموصلة إلى السعادة، فساومهم مساومة التجارة، وعقد معهم صفقةً فيها ربحٌ بلا خسارة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ۞﴾ [التوبة: ١١١].

صفقة جمعت أركان البيع كلها:

المشتري	البائع	السلعة	الثمن
الله سبحانه	المؤمن	النفس وحظها من الشهوة والمال	الجنة

فالله سبحانه هو المشتري مِن كلِّ مؤمنٍ يبيع سلعته، وهي نفسه وماله، وذلك ببذلهما لإعلاء كلمته وإظهار دينه، وجعل الثمن غاليًا يصعب تصوُّره؛ فالجنَّة فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ.

لكن الإنسان في هذه الحياة الدنيا عرضةٌ للابتلاءات والمحن التي قد تهزُّ إيمانه، وللمصائب التي قد تثقل عليه فيقلُّ صبره، وتجزع نفسه، فيقع في المحرَّمات، أو يستعجل الخير فيؤول استعجاله إلى حرمانٍ وحسرةٍ وندامةٍ، وقد يدخل عليه الشيطان مِن مداخل الأقدار، فيستهدف يقينَه بربِّه، ويشوِّش عليه صفاء قلبه، فيضطرب عقله وفؤاده، ويعيش في قلقٍ وحيرةٍ وجزعٍ وحزنٍ، وهذا مأمول الشيطان مِن الإنسان، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة: ١٠].

لكن المؤمن البصير بمكائد الشيطان، يعلم أنَّ الدنيا لا تصفو لأحدٍ، لا لنبيٍّ ولا لغيره، وأنَّها دار ابتلاءٍ بالسراء والضراء، فيعدُّ العُدَّة لهذا الامتحان، ومِن هذه العدَّة: يقينه بربِّه؛ أنَّه هو الخالق لكلِّ شيءٍ في هذا الوجود، لا يخرج شيءٌ عن سلطانه، وهو القادر الحكيم العليم، وأنَّه ما ابتلاه إلا لحكمةٍ أرادها، وأنَّ وراء الابتلاء خيرًا عظيمًا له، فيطمئن قلبه لقضاء ربِّه وقدره، ويسلم الأمر لصاحب الأمر، فيصبر على تلك الابتلاءات ولا تجزع نفسه بما نزل به، ولا يطير عقله بما أُعطي، فيتوازن ويشعر براحةٍ عجيبةٍ، ويسلك السلوك الأقوم.

وهذا الكتاب يسلِّط الضوء على أهمية الصبر واليقين في حياة المسلم؛ كالصبر على الطاعات، والصبر عن المحارم، والصبر في النوازل والمصائب، واليقين بالله تعالى وبوعده؛ ليستكشف القارئ آثار الصبر واليقين في سلوك الإنسان ونفسه وعمله، وليخلص إلى معرفة العلاقة بين القضاء والقدر، والصبر واليقين، والطمأنينة والرضى.

وسيجد القارئ في نهاية الكتاب عددًا مِن القصص؛ مِن سيرة النبي ﷺ، ومن قصص الأنبياء، ومن أحوال الصحابة والتابعين، ومن واقعنا المعاصر، مما يساعد على زيادة اليقين والصبر، ويشجع على التأسي بهم في ذلك.

واللَّهَ نسأل أن يجعل في هذا الكتاب النفع والبركة، والحمد لله رب العالمين، وبه نستعين.

محتويات الكتاب

المحور الأول

الصبر واليقين في الإسلام

تمهيد ١٠

تعريفات ومفاهيم ١٢

معزِّزات اليقين ١٨

الصبر ٢٤

المُعينات على الصبر ٢٨

التقويم ٣٢

المحور الثاني

الحياة الدنيا دار ابتلاء

مفهوم الحياة الدنيا ٣٨

مفهوم الابتلاء ٤٢

الحكمة من الابتلاء في الحياة الدنيا ٤٤

تعامل المؤمن مع البلاء في الحياة الدنيا ٤٨

أنواع الابتلاءات وما يقابلها من أنواع الصبر ٥٠

التقويم ٥٢

المحور الثالث

اليقين والإيمان بالقضاء والقدر ودورهما في حياة المؤمن

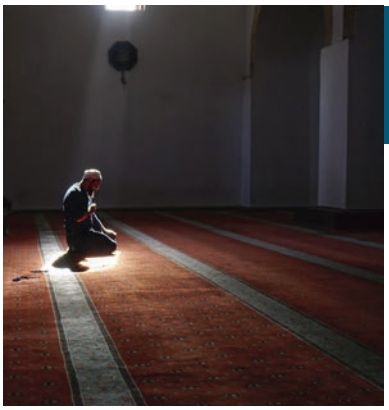

القناعة والرضا شعار المسلم ٥٨

تربية النفس ٦٢

تربية القلب ٦٤

تربية العقل ٦٥

اليقين بوعد الله ٦٨

التقويم ٧٠

المحور الرابع

الصبر ودوره في الحياة

أهمية الصبر وأثره في حياة المسلم ٧٦

فوائد الصبر في الحياة ٧٨

تربية النفس والقلب والعقل على الصبر لله ٨٢

الصبر لا يعني الخنوع والخضوع والجبن ٨٦

التقويم ٨٨

المحور الخامس

تربية فريدة متميزة

كيفية تربية النفس على الصبر ٩٤

الأمل والرجاء ٩٦

التقويم ١٠٠

الصبر واليقين
في الإسلام

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يثمِّن أعمال القلوب في الإسلام.
- يشرح مفهوم كل من:
  - اليقين
  - الصبر
- يستدل بالآيات والأحاديث الشارحة لهما.
- يشرح مظاهر قوة اليقين.
- يعدِّد الطرق المعززة لليقين.
- يذكر المعينات على الصبر.

تمهيد

لابد لمن دخل الإسلام وأراد أن يسلك الطريق إلى الله جل جلاله من التنبه إلى أهمية أعمال القلوب قبل أعمال الجوارح، والتركيز على الباطن قبل الظاهر، والسِّر قبل العلانية، والجوهر قبل الشكل؛ لأنه لا اعتبار للظاهر دون الباطن، فلا قبول لعمل إلا بنيّة، ولا معنى للنيّة بغير إخلاص، وكلاهما من أعمال القلوب، فلا يعتد بصلاة المنافق مثلًا، لأنَّه وإن شابه المؤمنين المصلِّين في الظاهر، فإن فساد قلبه وباطنه يفسد كل عمله.

الخير كل الخير في طاعات القلوب، والخطر كل الخطر في معاصي القلوب.

لاحظ

دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾. [الشعراء:٨٧-٨٩]

انتبه

قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» [مسلم: ٤٦٥٢].

انظر

إلى سؤال جبريل للنبي ﷺ: ما الإحسان؟ وجواب النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» [البخاري: ٩٩٤٤]، **فالجواب يدل على أهمية عمل القلب واقتران العبادات به، بحيث يعبد الإنسان ربه وهو يستشعر دومًا أن الله تعالى مطلع عليه وناظر إليه:** ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾ [الحديد: ٤].

قال الإمام ابن تيميَّة بعد كلام عن الإيمان والإسلام والصدق والإخلاص: (وهذا الذي ذكرناه، مما يبين أن أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والأعمال، وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها) «أمراض القلوب وشفاؤها: ٤٢».

تعريفات ومفاهيم

الصبر واليقين من أعمال القلوب المهمة، فما مفهوم الصبر واليقين؟

اليقين

قـرأت عبـارة جميلـة عـن اليقيـن أثـارت فضولـي ورغبتـي فـي معرفـة كل شـيء عنـه؛ فذهبـت إلـى أسـتاذي والتقيتـه بعـد صـلاة العشـاء قائـلًا: يـا أسـتاذي، أنـا فـي شـوق للتعـرف علـى حقيقـة اليقيـن، فمـاذا يمكـن أن تخبرنـي عنـه؟

قال معلمي الحكيم بعد أن رحَّب بي:

هـذا موضـوع مهـم، وقـد أحسـنتَ بالسؤال عنه.

تأمل معي:

لـو جـاءك إنسـان غريـب لا تعـرف عنـه شـيئًا وأخبـرك أنَّ حريقًـا شـبَّ فـي مصنـع فـي الشـارع المجـاور، فمـا مـدى ثقتـك بمـا قـال؟ ومـا احتمـال أن يكـون كاذبًـا أو ربَّمـا مخطئًـا؟

فـإذا بقيـت فـي مكانـك، ثـم رأيـت أعمـدة الدخـان تتصاعـد مـن الشـارع الـذي أخبـرك عنـه ذاك الإنسـان الغريـب، كيـف تـرى شـكُّك فـي كلامـه؟ هـل ضَعُـف أم قـوي احتمـال صدقه عندك؟

ثـمَّ إذا ذهبت إلى الشارع الذي ذكره، فرأيت ألسـنة النـار المتطايـرة تلتهـم المصنـع بالفعل، فمـا مقـدار الشـك الباقـي عندك فـي كلام من أخبـرك؟ وهـل يقبـل عقلك احتمـال تكذيبه؟

إنَّ العلـم المتولِّـد مـن رؤيـة ألسـنة اللهـب، والإحسـاس بحرِّهـا يلفـح الوجـوه، هـو أعلـى درجـات العلـم الـذي لا يشـوبه شـكٌّ، **وهذا هو اليقين.**

ذكر القرآن الكريم اليقين في عدة مواطن، وبعدة معان، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]، **وقال:** ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥﴾ [التكاثر: ٥]، **وقال:** ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧﴾ [التكاثر: ٧]، **وقال:** ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥﴾ [الواقعة: ٩٥].

ما المقصود من اليقين في هذه الآيات؟ وما الفرق بين اليقين وعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين؟

استعن بأحد كتب التفاسير العلمية في توضيح معنى هذه الآيات.

إثراء

إن للعلم مراتب من حيث استقراره في النفس، فما استند إلى الدليل القوي الذي لا يعتريه الشَّك يُسَمَّى **يقينًا**؛ كاستقرار العلم بالموت في نفوس الناس، فإذا استند العلم إلى المشاهدة بالعين كان اليقين أقوى درجة، وسمي **عين اليقين**، فإذا باشرته بنفسك كان حقيقة ثابتة، وهو أعلى درجات اليقين، ويسمى **حق اليقين**.

اليقين لغة: هو العلم وإزاحة الشك وتحقق الأمر، ودرجاته:

- **علم اليقين (ما استند إلى الدليل)**
- **عين اليقين (ما استند إلى المشاهدة)**
- **حق اليقين (ما استند إلى المباشرة)**

ناقش

قَالَ رسول الله ﷺ: «نَجَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْيَقِينِ وَالزُّهْدِ، وَيَهْلِكُ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ». [رواه ابن أبي الدنيا بسند حسن في كتاب اليقين ص٣٢].

ما معنى اليقين في هذا الحديث؟

ما العلاقة بين قوة اليقين والنجاة؟

علل اقتران اليقين بالزهد في كونهما سبب النجاة.

نتيجة

اليقين في الإسلام: ثبات العقيدة واستقرارها في القلب. فهو من أعمال القلوب، وينعكس أثره على النفس والجوارح، فيتمثَّل بالزهد الذي هو ترك الحرص على الدنيا والرغبة فيها، وسموِّ الهدف إلى نيل الآخرة، والاستعداد لها وقصر الأمل (أي استشعار قرب الأجل والرحيل عن الدنيا)، والثبات على الحق رغم المحن.

لاحظ

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة:٣].

الإيمان: هو التصديق الجازم بالقلب،

واليقين: هو طمأنينة القلب بهذا الإيمان وسكونه وارتياحه به.

ولا يصدِّق المرء بالآخرة حتى يطمئن قلبه بالإيمان بالله، ولذلك قال الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **: "اليقين الإيمان كله"** (علّقه البخاري مجزومًا به قبل الحديث رقم ٨).

نتيجة

التصديق بالقيامة = **الإيمان** ← التصديق بالقيامة = **اليقين** ← **اليقين = الإيمان**

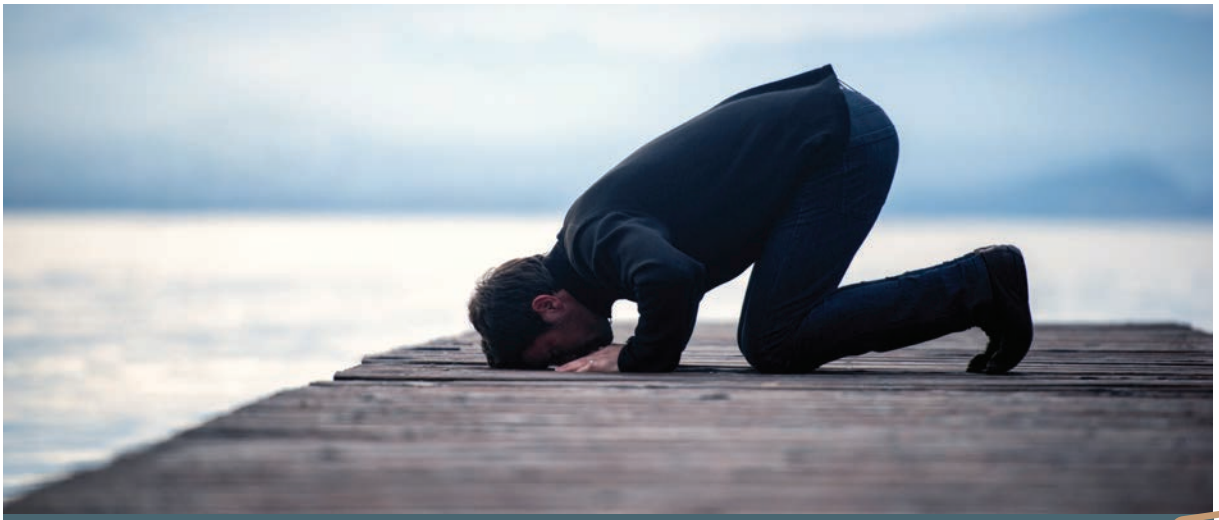

ناقش

- هل تجتمع محبة الدنيا مع اليقين؟ ولماذا؟
- "مؤمن ضعيف الإيمان" ما رتبة اليقين عنده؟
- شخص غير مسلم هداه الله للإيمان ودخل دين الإسلام، فتعرض لضغوط كثيرة ممن حوله ليتخلى عن إسلامه؛ تارة بالترغيب وتارة بالترهيب وهو ثابت على إيمانه، ما سبب ثباته في رأيك؟ وهل لليقين علاقة به؟

معزِّزات اليقين

تابع معلمي قائلًا: اتَّصل بي شابٌّ حديث الإسلام من بلد غير مسلم، وشكا أنَّه يعاني من ضعف الإيمان وفقدان اليقين، وسألني عن السبيل للوصول إلى اليقين، فقلت له: أنت مؤمن، وكل مؤمن صاحب يقين، فضعف الشيء لا يعني زوال أصله، ويمكنك أن تعزِّز يقينك بأمور مذكورة في القرآن الكريم.

اقرأ قول الله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾

[الجاثية: ١ - ٦].

واقرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ۝٢٨﴾

[فاطر: ٢٧، ٢٨].

إثراء

تفكَّر في هذه الآيات، ثمَّ أوجد الرابط بين التدبُّر في خلق السماوات والأرض، وخلق الناس، وتصريف الرياح، وبين قوله: يوقنون، يعقلون، ويؤمنون؟

ناقش

على ضوء هاتين الآيتين ما أثر العلم في زيادة الخشية من الله؟ هل يكفي مجرَّد العلم، أم لا بدَّ معه من العمل؟

.....

.....

.....

.....

.....

واقرأ أيضًا قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

ابحث في كتب التفسير عن سبب نزول الآية السابقة، واربط بينها وبين زيادة اليقين.

إثراء

ارجع إلى كتاب «**أعمال القلوب**» من هذه السلسلة، وابحث فيه عن أثر اليقين في حياة الأنبياء والصالحين.

نشاط

تخيل أنك تعرضت لهذا الموقف، وجاءك واحد من المسلمين الجدد يشكو إليك ضعف إيمانه ويقينه، اكتب موضوعًا حول هذا الموقف ضمن المحاور الآتية:

- اسأله عن أسباب ضعف اليقين كما يراها هو.
- حدِّثه عن مراتب اليقين.
- دُلَّه على أمور تؤدي به إلى الارتقاء في درجات اليقين.
- شارك الموضوع مع أصدقائك عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

خلاصة

كما أن الإيمان يزيد وينقص، فكذلك اليقين يزيد وينقص، وكثير من الأمور التي تساهم في ضعف الإيمان تؤدي إلى ضعف اليقين، مثل الغفلة، وعدم ذكر الله، وكثرة المعاصي، وبالمقابل هناك أمور مشتركة تؤدي إلى زيادة الإيمان واليقين، وتساهم في تعزيزهما، منها:

- تدبر آيات القرآن الكريم، فكلام الله جل وعلا من أعظم أسباب زيادة الإيمان واليقين إذا قُرئ بتدبر.
- التفكر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى وآياته الكونية؛ لأنه يقرر في النفس عظمة الخالق وقدرته.
- تذكر الموت وأحداث يوم القيامة، واستحضار قصر الحياة الدنيا مقارنة بالحياة الآخرة.
- العلم المَقْرون بالعمل، فكلما زاد الإنسان علمًا ازداد معرفة بربه وعظيم قدْره، ومعرفة بنفسه وضعفه وقدْره؛ فيقوى إيمانه ويقينه بربه.
- الصحبة الصالحة ذات اليقين الثابت؛ فينتقل هذا اليقين بتأثير الصحبة.
- الاطلاع على سير الأنبياء وقصص الصالحين، إذ لها تأثير كبير على الثبات على الإيمان وتعزيز اليقين.
- دعاء الله سبحانه وتعالى بتثبيت القلب على الإيمان ورزقه اليقين.

مظاهر قوة اليقين

تابع معلمي قصة المسلم الجديد قائلًا: بعد مرور أسابيع قليلة أعاد الاتصال بي، فسألته عن حاله فقال: بحثت في أسباب زيادة اليقين وتعلَّمتها وطبَّقتها جميعها، وانتفعت بها.

فسألته: وما مظاهر زيادة قوَّة اليقين التي وجدت أثرها في نفسك؟

قال: استشعرت ذلك في قلبي، فلم يعد يجزع إذا شعرت بالغربة والوحدة حين أتذكَّر بعض أهلي الذين هجروني وحاربوني بسبب إسلامي، بل بتُّ أشعر بنعمة الله عليَّ أن هداني لهذا الدين القويم، وأشعر بالشفقة عليهم، وأدعو لهم في جوف الليل بالهداية.

أنا الآن أذكر القيامة وأهوالها، وأفكِّر في الحياة التي بعد الموت؛ فأستعدُّ لهذه الحياة الأخرى أتمَّ الاستعداد، فابتَعدَ عنِّي الحرص على الدنيا، ولم تعد لي رغبة في تحصيلها إلَّا من الطرق التي أباحها الله، ولا أرغب بجمعها لذاتها فهي فانية، ولكن لأتقوَّى بها على طاعة الله، لقد بتُّ أرحم من فاته اليقين فأصابه البخل، وحسدَ أهل الدنيا، وخاصم لأجلها، أو سلك سبيل الحرام لكسب رزقه.

لم تعد مصائب الحياة وصعابها تُحزِن قلبي ولا تخيفه؛ لأنَّ اليقين ملأه بأنَّ كلَّ شيءٍ يجري بأمر الله، والأرزاق والآجال مكتوبة، والمصائب والصعاب هو القادر على كشفها، فأنا مطمئنٌّ إلى أنَّ الخير بيديه سبحانه؛ إنَّها لذَّة وطمأنينة أعجز عن التعبير عنها، ولا يمرُّ يوم إلَّا وأسأل الله اليقين والثبات عليه.

أثنيت على كلامه قائلًا: أحسنت، إنَّ أسرع طريق للوصول إلى اليقين هو طلبه من الله تعالى؛ لذلك كان النبي ﷺ يدعو فيطلب اليقين من ربه، فعن ابن عمر قال: ما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا...». [رواه الترمذيُّ ٣٥٠٢ وقال: حديث حسن].

فوطِّن نفسك وأنت تدعو وتسأل الله عز وجل أن تستحضر قدرته على الإجابة وكرمه في عطائه، حتَّى تصل إلى اليقين بالإجابة.

خلاصة

مَن وصل إلى اليقين حاز الطمأنينة وراحة البال، وانقلبت عنده مشقَّةُ الطاعة لذَّةً وحلاوة، وهان عليه ترك المحرَّمات، وزهد في الدنيا بعد أن كان حريصًا عليها، وجعل همَّه الآخرة.

والمقصود بالزهد في الدنيا: ترك تعلق القلب بها والانشغال الكامل بها، بحيث تكون أكبر همِّ الإنسان؛ والاكتفاء بإعطائها حقها وقدْرها دون تقديم على حق الله أو الدِّين، وليس معنى الزهد ترك الدنيا واعتزال المجتمع والناس وعدم العمل.

إثراء

إن مسألة التحذير من الغرق في بحر الدنيا، مسألة لها شأن في القرآن الكريم، لأن حبَّ الدنيا إذا تسرب إلى القلب تعلق بها وانشغل عما سواها، فلم يعد في القلب متسع لحبيب آخر، فقد ملأت الدنيا الحلوة أركانه وزواياه، فإذا حدثته عن اليوم الآخر، كان الحديث مستنكرًا مستغربًا، غير مرحَّب به، قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقال أيضًا: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

ناقش

- إذا كان اليقين في أدنى مراتبه ينافي الشكَّ، فكيف توجِّه قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، استعن بأحد كتب التفسير؟
- عدِّد بعض مظاهر الارتقاء في مراتب اليقين غير ما ذُكر.
- اكتب بحثًا موجزًا تذكر فيه آثار ضعف اليقين وفساده على الإنسان.
- قد يُشكل دعاء النبي ﷺ: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا...» على أحدهم فيقول: كيف طلب النبي ﷺ اليقين من ربه، وقد وصل إلى أعلى مراتبه وهي حق اليقين؟ تأمل الحديث كاملًا ثم ناقشه محاولًا حل هذا الإشكال.

إثراء

في السُّنة النبوية أحاديث وآثار ذكرت اليقين، اجمع خمسًا منها واشرحها مستعينًا بكتاب اليقين لابن أبي الدنيا، وكتاب شعب الإيمان للبيهقي.

الصبر

انتفعتُ كثيرًا بكلام معلمي، وبما حكاه من قصة المسلم الجديد، وعملتُ بخلاصة كلامه وقتًا من الزمن، وجاهدتُ نفسي حتى شعرتُ أنني وصلتُ إلى رتبة اليقين، ولمستُ أثره في قلبي وروحي، لقد تكللت رحلة البحث بنجاح، ولكن راودتني أسئلة مهمة:

كيف يمكنني الثبات على هذا اليقين؟

كيف لي أن أحافظ عليه، وأنا أرى حولي بعض مَن وصل إلى اليقين ثمَّ فقده؟

تُرى لماذا فقده؟ وما الخطأ الذي ارتكبه حتَّى نزل عن رتبته؟

بحثت مليًّا فوجدت أنَّ أهمَّ زاد في رحلة الثبات على اليقين هو الصبر، فمن تزوَّد به بلغ هدفه، ومن فاته الصبر فاته ما يسعى وراءه.

الصبر دواء لكل داء، ومفتاح لكل نجاح

رأيتني والشوق يدفعني للقيا معلمي لأصل معه لمفهوم الصبر، فالتقيته ثانية في بيت الله بعد صلاة الفجر قائلًا: يا أستاذ ماذا تعرف عن الصبر؟ وما معناه؟

قال مبتسمًا: سأخبرك، لكن أجبني أوَّلًا عن أسئلة ثلاثة:

السؤال الأوَّل: لو نمت ليلة متأخِّرًا، واستيقظت لصلاة الفجر وأنت شديد النعاس، وحدَّثتْك نفسك بمتابعة النوم، فهل ستنام عن الصلاة أم ستغالب نعاسك وتنفض النوم عن جفنيك وتقوم إلى الصلاة؟

السؤال الثاني: تخيَّل أنَّك بحاجة ماسَّة إلى المال، فانطلقت تقصد أحدهم لتقترض منه مالًا، فعرض عليك عملًا ببيع المخدرات أو الخمور وأنت بحاجة للمال، ماذا سيكون جوابك؟

هل تعذر نفسك بالضرورة، وتقبل عرضه ببيع المخدرات أو الخمور وأنت تعلم أنها مما حرمه الإسلام؟

السؤال الثالث: تخيَّل أنَّ صديقًا لك دخل المستشفى وتضرر كثيرًا بسبب حادث سيَّارة، وأثناء زياتك له رأيته رغم ألمه لا يزيد عن قول: "إنَّا لله وإنا إليه راجعون". كيف تبرِّر موقفه؟

قال معلمي: تدبَّر هذه المواقف الثلاثة فإنَّها لا تخرج عن مفهوم الصبر؛ فالصابر من رضي وتحمَّل مشقَّة العبادة والعمل الحلال وطلب العلم وغير ذلك وانتظر أجره من الله في ثباتٍ واطمئنان، وكذلك من ترك المعصية رغم حلاوتها أو سهولتها خوفًا من الله، ومن صبر على المصائب والبلايا من أمراض أو إعاقات أو خسارة مال وغير ذلك مما لا قدرة له على رده ودفعه، رضًا بقضاء الله وقدره وتسليمًا له.

أنواع الصبر

- صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها
  - كالصبر في طلب العلم وأداء الطاعات والصبر في تحصيل الرزق الحلال.
- صبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها
  - كالصبر عن المحرمات بترك الزنا وشرب الخمر أو تعاطي المخدرات وغيرها.
- وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها
  - كالصبر على موت حبيب أو الصبر على مرض أو خسارة مال.

إثراء

- اذكر الآية الكريمة التي تناسب الموقف في سؤال المعلم الأوَّل؟
- ما الحديث النبويُّ الشريف المناسب لموقف سؤال المعلم الثاني؟
- في القرآن الكريم آية تناسب الموقف في سؤال المعلم الثالث، اذكرها.
- اكتب ملخَّصًا تفسر فيه الآيتين وتشرح فيه الحديث، مع وضع عنوان لملخَّصك.

وهنا سألت معلمي بلهفة: وهل يمكن اكتساب الصبر وتحصيله والتعوُّد عليه؟

قال: تجد الجواب في قول الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧]، أي ما صبرك إلا بمعونة الله سبحانه، فاستعن به على الصبر، وفي حديث النبي ﷺ: «ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله، وما أُعطِيَ أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر» [رواه البخاري: ١٤٦٩].

قلتُ له بعد تأمل: لقد فهمت، التصبُّر هو السعي وراء الصبر، ومن سعى وراء شيء حصل عليه بتوفيق الله وعونه، إذًا سأستعين بالله على الصبر وأعوِّد نفسي عليه شيئًا فشيئًا حتى يصبح عندي عادة لازمة.

قال معلمي: هل تذكر المسلم الجديد الذي سألني عن اليقين؟

لقد سعى جاهدًا لاكتساب الصبر وليحفظ على نفسه إيمانها ويقينها، وحكى لي عن تجربته في ذلك، وكان مما قاله لي:

كنت أفكِّر أحيانًا في حياتي التي عشتها قبل إسلامي، وكلَّما تذكَّرت المتعة في قضاء الشهوة انتابني الحنين إليها، وثَقُل عليَّ ترك المحرَّمات التي تعترضني، وكانت تثقل عليَّ الطاعات وخاصَّةً صلاة الفجر.

أمَّا الآن ومع تدريب النفس على الصبر، فقد بدأت تهون عليَّ تلك الخطرات، وانقلب الحنين إليها نفورًا؛ لأنَّها تغضب الله، وصرت أحسُّ بحلاوة الطاعة ولذَّتها، حتَّى لو أصابتني في أدائها مشقة؛ حلاوة كحلاوة من شارك في سباق وكان من الأوائل فيه، فلذة الفوز والإنجاز في السباق يخففان المشقة ويحولانها لدافع لمزيد من الصبر والمسير.

في ضوء ما سبق حاول أن تستنتج تعريفًا للصبر

ناقش

- **ما الأمور التي ترى نفسك قليل الصبر فيها؟ ولماذا؟**
- **ما موقفك من نفسك عندما تتعرض لأمر لا تستطيع الصبر فيه؟**
- **هل يمكن أن يُسَمَّى الصبر خُلُقًا؟ ولماذا؟**
- **ضع خطة لتطوير ذاتك تساعدك على اكتساب الصبر في الأمور التي لا صبر لك عليها. ولتكن أول خطوة لك في كل أمر الاتكال على الله سبحانه والاستعانة به.**

الخلاصة

الصبر خُلُق يدفع الإنسان إلى تحمل المشاقِّ والمصاعب، وله أنواع: منها الصبر على أداء الطاعة، والصبر على ترك المعصية، والصبر على البلاء والمصائب مع الرضا والتسليم لله سبحانه.

المُعينات على الصبر

قال لي المعلم الحكيم:

اقرأ الآيات الآتية وفكر مليًّا في معناها:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

ماذا تفهم من الآيات السابقة؟

عرفتَ أن المصيبة من عند الله فما أثر هذه المعرفة على صبرك؟

لماذا يصيب اللهُ عبدَه بالمصائب، وهل يصيبه بما لا طاقة له على تحمله؟

ومن يقدر على كشف تلك المصائب وتفريجها؟

ما أثر ذكر الله على القلب؟ وما علاقة هذا بالصبر؟

إذا علمتَ أن معنى رَوح الله هو الرحمة وتفريج الكروب، فما الذي يعينك على الصبر بحسب ما فهمت من الآية؟

يا بني: المؤمن إذا نزلت به المصيبة أو حلَّ به البلاء صبر عليه، فإن شعر بضعف في صبره استعان عليه بذكر الله والصلاة؛ ليطمئن قلبه ويسكن جزعه ويَقوى يقينه وإيمانه فيتصبَّر، وكذلك حاله إذا علم أن الله هو من ارتضى له هذه المصيبة وكتبها

عليه؛ فيطمئن إلى أن الذي أصابه بها رحيم، لم يصبه بها لتهلكه وتقتله، فهو سبحانه لا يُكَلِّفه ما لا يطيق، وبهذا يدرك أنه قادر على تجاوزها، فيتقوَّى صبره، لا سيما وقد نهى سبحانه عن اليأس والقنوط، ثم إذا ذكر وعد الله تعالى للصابرين حين قال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠]، استصغر مصيبته مقابل ما وُعِد به من الجزاء حال صبره عليها.

الخلاصة

مهما عظمت المصيبة فإن استذكار أن الله هو من أصابنا بها، وأنه الوحيد القادر على كشفها عنَّا، وأنه يكافئنا بالحُسنى إن صبرنا عليها يصغِّر المصيبة في أعيننا، وكلَّما صغرت المصيبة كان الصبر عليها أسهل.

إثراء

- **حدثت مع النبي ﷺ قصة لطيفة حين مر بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري». قالت: إليك عني، فإنك لم تُصَب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» [رواه البخاري: ١٢٨٣]. اشرح هذا الحديث موضِّحًا أهمية الثبات عند أول صدمة المصيبة في الصبر عليها.**
- **كثير من الناس الذين يشكون قلة صبرهم على المصائب، إنما يكون ذلك بسبب استمرار تذكرهم لها، فيتجدد لديهم الشعور بها كما لو أنها أصابتهم الآن، وجِّه لهم نصيحة من وحي هذا الحديث تعينهم على تجاوز تلك الحال.**

نتيجة

من تصبَّر عند لحظة نزول المصيبة سهُل عليه ما بعدها، وهان عليه مداومة الصبر فيها، ومن استعظم مصابه واسترسل في جزعه تجدد حزنه وألمه كلما ذكر مصابه.

ناقش

- من أسماء الله تعالى (الصبور)، اشرح هذا الاسم موضِّحًا الفرق بين صبر الله تعالى وصبر الإنسان.

خلاصة

إن للصبر مكانة عالية في الإسلام، وعلى المسلم أن يتخلق به ويوليه الأهمية الكبيرة، ومما يؤكد على هذه الأهمية أن الصَّبور اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه الصبر على الخَلق؛ فلا يعجل على العصاة بالانتقام منهم مع قدرته عليهم، بل يصبر ويمهلهم ويعطيهم الفرصة حتى يتوبوا ويرجعوا عن عصيانهم.

ومما يؤكد على أهمية الصبر في حياة المسلم، كثرة ذكره في القرآن الكريم، فقد جاوز ذكره المئة مرة؛ يأمر بالصبر، ويمدح الصابرين، ويعِدهم بالأجر العظيم.

ناقش

- اذكر طرقًا لتحصيل الصبر والتعوُّد عليه غير ما ذُكِر، يمكنك الاستعانة بكتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية، وكتاب أنواع الصبر ومجالاته لسعيد القحطاني.

التقويم

١ عرِّف اليقين واذكر درجاته:

٢ اذكر سببين من أسباب ضعف اليقين:

٣ عدِّد أربعًا من مظاهر قوة اليقين:

٤ كيف تقوِّي يقينك؟ ضع خطة عملية موزَّعة عبر الزمن.

٥ عرِّف الصبر واذكر أنواعه ومجالاته:

٦ عدِّد أربعًا من المُصبِّرات (المعينات على الصبر) مع ذكر شاهد من القرآن لكل منها.

٧ ضع علامة صح أو خطأ وصحح العبارات الخاطئة فيما يلي:

١. ( ) اليقين رتبة واحدة وهو عكس الشك.

.....

٢. ( ) الحرص على جمع المال وطول الأمل في الدنيا لا ينافيان اليقين.

.....

٣. ( ) التصديق بيوم القيامة واليوم الآخر هو عين اليقين.

.....

٤. ( ) محبة الدنيا لا تجتمع مع اليقين أبدًا.

.....

٥. ( ) قراءة سير الصالحين وقصصهم في الثبات لا علاقة لها باليقين.

.....

٦. ( ) صاحب اليقين بعيد كل البعد عن القلق واضطراب القلب.

.....

٧. ( ) الصبر صفة في الإنسان تولد معه ولا يمكن اكتسابها.

.....

٨. ( ) استعظام المصيبة يسهل الصبر عليها.

.....

٨ وضِّح العلاقة بين قوة الإيمان والقدرة على الصبر.

٩ علِّل ما يلي:

- الصحبة الصالحة تعزز اليقين.
- اليقين ينعكس طمأنينة على القلب.

الحياة الدنيا
دار ابتلاء

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يشرح مفهوم كل من:
  - الحياة الدنيا.
  - الابتلاء.
- يستنبط حكمة الابتلاء في الحياة الدنيا.
- يعدد أنواع البلاءات وأنواع الصبر.

مفهوم الحياة الدنيا

قال معلمي الحكيم:

دعنا نقرأ النص الآتي بتأمل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

- **ماذا تفهم** من النص السابق؟
- **ما أنواع الحياة** التي ذكرتها الآية الكريمة؟
- **هل تعرف** لماذا سميت الحياة الدنيا بهذا الاسم في اللغة العربية ولفظ القرآن؟

ذَكَرَ الله في القرآن الكريم نوعين من الحياة، الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وسُمِّيت الدنيا بهذا الاسم لأنها قريبة في مجالات شتى، قريبة من الإنسان لأنه يألفها، قريبة من الزوال لأنها فانية، قريبة المكانة لأنها قليلة الأهمية ليست سامية، كما قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء» [رواه الترمذي: ٢٣٢٠، وصححه الألباني]، وقيل: سميت دنيا في مقابل الدار الآخرة، أي أنها أقرب من الآخرة.

والمعنى الاصطلاحي للحياة الدنيا هو الحياة الممتدة منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة، لتبدأ الحياة الأخرى.

ولو راجعت الآيات التي ذكرت الحياة الدنيا في القرآن لوجدت لها صفات عدَّة، والهدف من هذه الأوصاف التأكيد على أنها وسيلة لا غاية.

- **تتبع صفات الحياة الدنيا والحياة الآخرة التي ذكرت في القرآن الكريم، واكتبها في كراسة صغيرة، وقارن بين كل صفة للدنيا بما يضادها من وصف الحياة الآخرة.**
- **بعد انتهاء بحثك هل توافقنا الرأي أن آيات القرآن تتحدث عن "كون الدنيا وسيلة للآخرة"؟**

إثراء

ناقش

- **ما العلاقة بين الحياة الدنيا والآخرة من حيث الصفات والغاية؟**
- **قال الله تعالى:** ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾ [الكهف: ٤٥]، **اشرح هذه الآية موضِّحًا وجه الشبه بين الحياة الدنيا والمثال الذي ذكره الله تعالى.**

خلاصة

الحياة الدنيا هي مدة بقاء الكائنات الحية على الأرض، وهي فانية زائلة، مثلها كاستراحة على طريق سفر يتزود المسافر منها ليصل إلى مقصده، فالدنيا وسيلة لا غاية، يتزود منها المؤمن بالعمل الصالح ثم ينتقل إلى الحياة الآخرة التي هي دار الجزاء والخلود.

مفهوم الابتلاء

قال معلمي الحكيم: أكثر ما يلفت الانتباه من صفات الدنيا أنها دار ابتلاء، فمن ذلك قول الله تعالى:

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١ - ٣].

وقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقوله: ﴿۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾ [البقرة: ١٢٤].

ماذا تفهم من الآيات السابقة؟

ما معنى الفتنة التي ذكرها الله تعالى في هذه الآيات؟

لماذا يبتلي الله المؤمنين؟

ما الفرق بين البلاء في قوله: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ والابتلاء في قوله: ﴿ٱبۡتَلَىٰٓ﴾؟

هل يمكن أن يكون البلاء بالخير؟ كيف؟

الابتلاء هو الامتحان.

ويكون في الشر كما يكون في الخير، قال ابْنُ بَرِّي أحد علماء المسلمين: يَأْتِي الِابْتِلَاءُ بِمَعْنَى الْإِنْعَامِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الدخان: ٣٣]؛ أَيْ: إِنْعَامٌ بَيِّنٌ.

قلتُ: أفهم من الآيات أن كل شيءٍ في الحياة الدنيا عبارة عن ابتلاء، في كل حركة وسكنة هناك ابتلاء، في كل خير وشر يصيب الإنسان هناك ابتلاء، وليس هذا الابتلاء من الله لنا لمجرد الابتلاء، بل لحكمة أرادها من تمييز الصادق في إيمانه من الكاذب، فإن الله أرحم من أن يخلقنا للعذاب، إنما خلق الوجود لحكمة عظيمة، من تفكَّر فيها وصل إلى كثير من معانيها، وكلما غاص في قاموسها عرف نفسه وعرف قدْره وعرف هدفه.

ابحث في حكمة الله في خلق الإنسان وسائر المخلوقات في ضوء قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، **وقوله:** ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١].

إثراء

الحكمة من الابتلاء في الحياة الدنيا

قال معلمي: أحسنت الاستنتاج، فدعنا نكمل التفكر معًا، اقرأ قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

ما الحكمة من خلق آدم وجعله خليفة في الأرض؟

حاول ربط قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]، بقوله بعدها: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

هل كان خلق آدم فتنة لإبليس؟ ولماذا؟

كيف أظهر الله حقيقة إبليس التي خفيت على الملائكة؟

ماذا كانت نتيجة امتحان إبليس؟

قلت لمعلمي: أفهم أن إرادة الله سبحانه اقتضت أن يخلق الإنسان ويمنحه الاختيار في هذه الحياة، وهذا الاختيار ينتج عنه أحد أمرين: إما أن يُحسِن في عمله ويعمل صالحًا، وإما أن يمشي بالإساءة ولا يراعي حلالًا ولا حرامًا؛ إما أن يعدِل في نفسه وفيمن حوله، وإما أن يظلم ويجور ويتعدَّى حدوده. ومع هذا فقد تنطوي سريرته على ما لا يظهره من عمله، فقد يعمل بالإحسان فيما يظهر للناس ويُخفي من سريرته الخبث والمكر والخداع، فلا بد من الابتلاء والاختبار حتى يظهر الأمر.

نتيجة

الدعوى بالقول لا تكفي، بل لا بد من البرهان العملي ليحصل التمييز.

إثراء

تفكر في قول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

ما الحكمة التي تفهمها من المصيبة بحسب هاتين الآيتين؟ وما علاقة الفخر والاختيال بالابتلاء؟

الابتلاء قد يعيد للنفس توازنها

ناقش

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥].

قارن أول الآية بآخرها وتأمل العلاقة بين البلاء وقوله: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ...﴾.

على ماذا تدل النكرة في قوله: ﴿بِشَيْءٍ﴾ بحسب قول أهل اللغة؟ اربط هذا بذكر الصبر في آخر الآية واستنتج الحكمة الثالثة من حكم الابتلاء.

الخلاصة

إن نقص الأنفس والأموال والثمرات شكل من أشكال الابتلاء، ولكن من رحمة الله أن يكون البلاء قليلاً، وهذا يسهل على النفس تجاوزه ويدربها على الصبر، وخصوصًا إذا علم المسلم أن الثواب على صبره كبير.

ناقش

- قيل في الحكمة المشهورة: «كلُّ مِحنَة وراءها مِنْحة، وكلُّ شِدَّة وراءها شَدَّة». ناقش هذه الحكمة في ضوء ما تعلمته من حِكَم الابتلاء في الحياة الدنيا.
- أعد صياغة الحكمة من الابتلاء في الحياة الدنيا بألفاظ من عندك.

تعامل المؤمن مع البلاء في الحياة الدنيا

قال المعلم الحكيم: أعد قراءة الآية السابقة مع ما بعدها: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة:١٥٥ - ١٥٧].

ماذا تفهم من النص السابق؟

هل يصاب المؤمن بالبلاء؟ وما هو جزاؤه إذا صبر عليه؟

كيف يتعامل المؤمن مع البلاء؟

ما أثر قول المؤمن: (إنا لله وإنا إليه راجعون) على صبره على البلاء؟

قلت لمعلمي مستنبطًا من الآيات: إن هذه الحياة لا تصفو لأحد أبدًا، لا للمؤمن ولا للكافر، وإن من سنة الله أن يكون الإنسان دائم الاستضافة للمشقة والعمل الجاد، ولا تُنال الأماني والأهداف بالراحة والكسل، ومن يسمع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد: ٤]، يظن أن التعب ومكابدة المشقة من أصل خلقة الإنسان.

والناس يختلفون في أشكال تعاملهم مع المشقات والابتلاءات تبعًا لتربيتهم ومعتقداتهم.

والمؤمنون يختلفون فيما بينهم في تلقيهم للصدمات والابتلاءات؛ لاختلافهم في درجات الإيمان، ودرجات اليقين، ودرجات التحمل والصبر، فالمؤمن يصبر ويتلقى المصائب بقوله: (إنا لله وإنا إليه راجعون)،

فبها يستذكر أن الله خلقه، فهو عبده يحكم فيه ما يشاء، ويستذكر أنه سيرجع إليه ليلاقي حسابه على صبره الذي وعده به، فإن ترقَّى في الصبر واليقين وصل لدرجة الرضا بالمقادير.

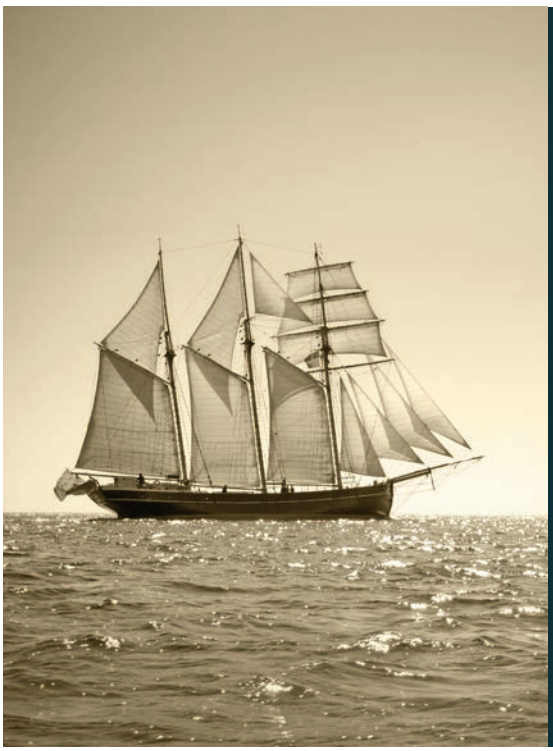

قال الله تعالى في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف: ٧١]، **ثم قال مبيِّنًا تبرير الخضر لهذا الفعل:** ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف: ٧٩].

لماذا اعترض موسى على خرق السفينة؟

كيف برر الخضر خرقه للسفينة؟

ماذا تفهم من هذا التبرير؟

إثراء

المؤمن يستقبل البلاء بالتسليم والتفويض لله تعالى؛ لعلمه أنه من تدبير الله وحكمته، والله خير الحافظين، فقد كان ظاهر خرق السفينة ابتلاء ولكنه في الواقع فرج، فلو لم تُخرَق السفينة لسُلبت من أصحابها، فالمؤمن لا يتعجل، وإذا حرمه الله ما يحب لا يحزن، بل يتذكر قول الله الرحيم: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦]، **فيطمئن لتدبير الله وحكمته، ويعلم أن الخيرة فيما اختاره الله، فيصبر على ما قضى، ولا ييأس أبدًا من لطف الله ورحمته، ويتذكر قوله تعالى:** ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ [الطور: ٤٨].

استنتج

أنواع الابتلاءات وما يقابلها من أنواع الصبر

قال المعلم الحكيم اقرأ هذا الحديث متأملًا فيه:

عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ، قال: «ابتلينا مع رسول الله ﷺ بالضراء فصبرنا، ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر». [رواه الترمذي: ٢٤٦٤ وقال: هذا حديث حسن].

- **ما أنواع الابتلاءات** المذكورة في الأثر السابق؟
- **ما الفرق** بين الابتلاء بالسَّرَّاء والضَّرَّاء؟
- **أيهما أشد** على الإنسان الابتلاء بالسراء أم الضراء؟ ولماذا؟

ستجد أن للابتلاءات أنواعًا، فمنها ما يكون بالشر، ومنها ما يكون بالخير، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥]، قال إمام المفسرين الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: ونختبركم أيها الناس بالشر؛ وهو الشدة نبتليكم بها، وبالخير؛ وهو الرخاء والسعة العافية، فنفتنكم به" (تفسير الطبري ٥٣٩/١٨)، ومع أن الابتلاء بالسراء أسهل على النفس -لأنها تميل إليه- لكن الصبر عليه أشد من الصبر على الابتلاء بالضراء، والابتلاء بالسراء أكبر خطرًا لأنه غالبًا ما يكون ابتلاء في الدين، أما الابتلاء بالضراء فيكون في الدنيا؛ من نفس أو مال

أو ثمرات، فمن الأول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤﴾ [المائدة: ٩٤]، فأرسل عليهم الصيد وهم مُحْرِمين يَحرُم عليهم صيده؛ ليختبر طاعتهم، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة: ١٥٥].

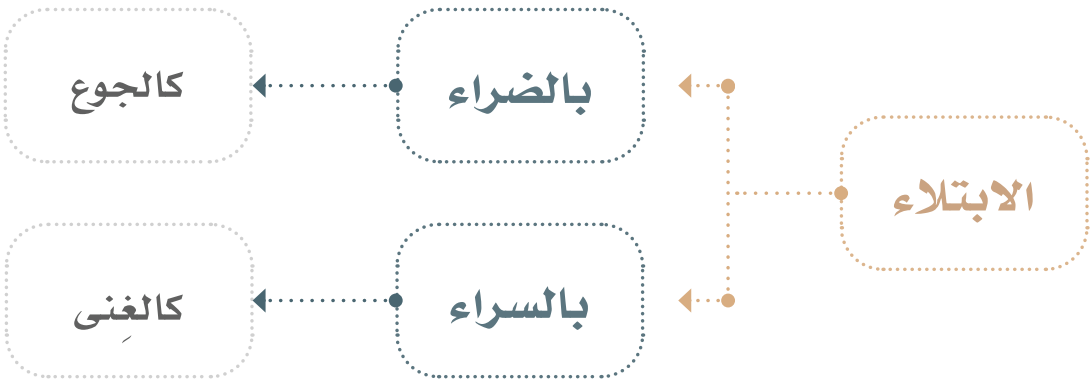

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ [البقرة: ١٢٤].

- ما نوع الابتلاء الذي ابتُلِيَ به إبراهيم؟
- كيف صبر إبراهيم على بلائه؟
- ماذا كانت نتيجة الابتلاء؟
- يظن بعض الناس أن العطاءَ اصطفاءٌ من الله لا ابتلاء. فنِّد هذا الاعتقاد في ضوء ما مرَّ معك، وبيِّن كيف يكون الصبر عند العطاء.

إثراء

التقويم

١ عدِّد أنواع الابتلاءات التي يصاب بها المؤمن وبيِّن أيها أشد خطرًا عليه.

٢ ماذا يجب على المؤمن حال نزول المصيبة والابتلاء به؟ علل رأيك.

٣ ما أثر الصبر على المصيبة على المؤمن؟

٤ ضع علامة صح أو خطأ وصحِّح العبارات الخاطئة فيما يلي:

١. ( ) الحياة الدنيا تشبه الحياة الآخرة من حيث إنها مكان استقرار المؤمن.

٢. ( ) الابتلاء لا يكون إلا في الشر ولا يكون في الخير.

٣. ( ) إن ابتلي المؤمن بالنعمة والسراء لا يتمتع بها.

٤. ( ) الجزع عند المصيبة يخفف من شدتها على النفس.

٥. ( ) البلاء لا يكون إلا عقوبة من الله تعالى للإنسان.

٥ علل ما يلي:

١. تسمية الحياة الدنيا بهذا الاسم.

.....

.....

.....

.....

٢. خرق الخضر للسفينة التي ركبها مع موسى.

.....

.....

.....

.....

٣. الصبر دواء لكل داء.

.....

.....

.....

٤. ابتلاء الله لعباده المؤمنين في الحياة الدنيا.

.....

.....

.....

.....

.....

٦ لماذا لا ييأس المؤمن إذا أصابه البلاء؟

٧ اختر الإجابة الأصح:

- **١. يصبر المؤمن على البلاء:**
  ١. لأنه لا يملك رده .
  ٢. لأنه بالصبر يصل إلى طمأنينة القلب .
  ٣. لأنه قضاء الله وقدره .
  ٤. كل الإجابات صحيحة .
- **٢. من صفات الحياة الدنيا:**
  ١. تنتهي مع انتهاء عمر الإنسان.
  ٢. دار راحة واستقرار.
  ٣. دار ابتلاء ومحن.
  ٤. قيمتها عالية ومكانتها سامية عند الله.
- **٣. من حكمة ابتلاء الله للإنسان:**
  ١. ليميز الصادق من الكاذب.
  ٢. تعذيبه في الدنيا.
  ٣. ليعوِّده الصبر.
  ٤. ليعلمه الرجوع إليه عند المصائب.

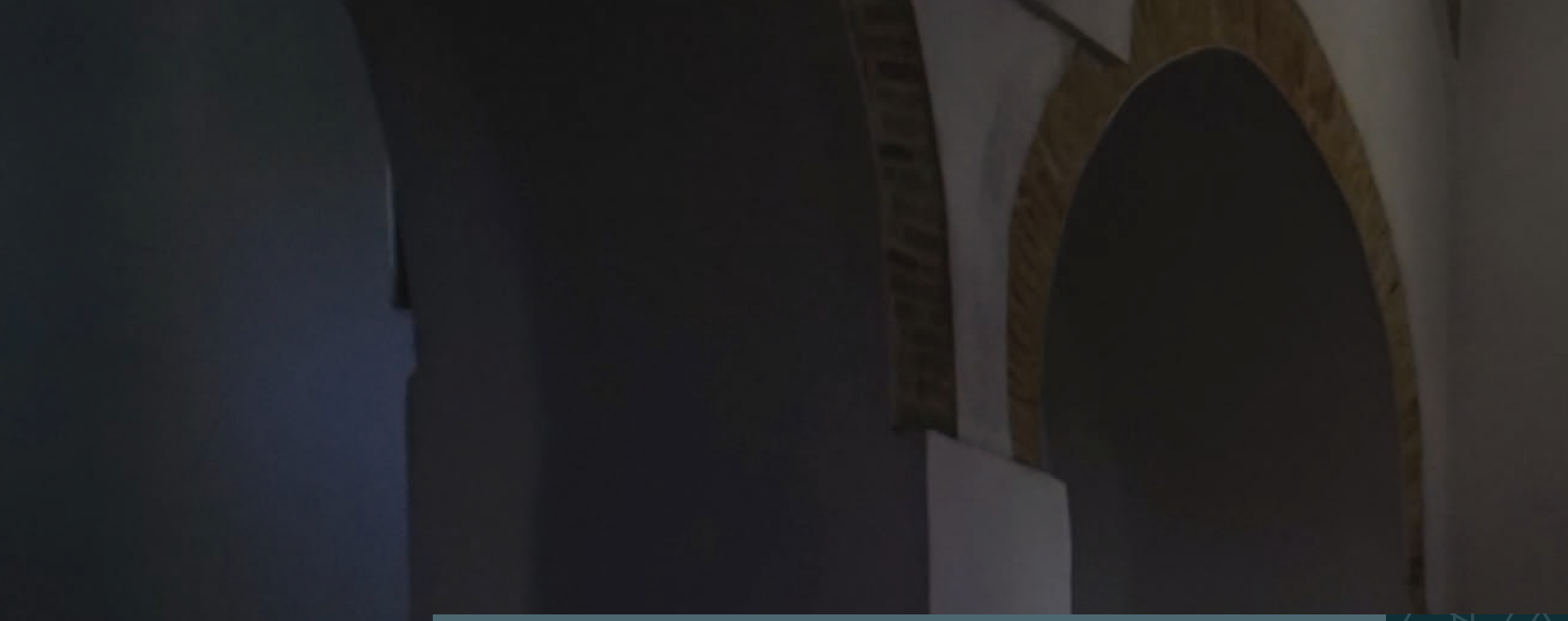

اليقين والإيمان بالقضاء والقدر

ودورهما في حياة المؤمن

أهداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يشرح أهمية وأثر اليقين والإيمان بالقضاء والقدر في حياة المسلم.
- يستشعر اليقين بنصر الله وأن دينه هو الدين الحق وأن العاقبة للمتقين.

القناعة والرضا شعار المسلم

قال المعلم الحكيم مختبرًا قدرتي على التحليل والاستنباط: اقرأ النص الآتي بتأمل، قال الله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥٠، ٥١].

ماذا تفهم من النص السابق؟

من المقصود في قوله: (تسؤهم) (يقولوا) وما مشكلتهم؟

لماذا يفرح المنافقون بمصاب المؤمنين؟

كيف يرد المؤمن على هذه الشماتة؟

على ماذا يدل تفويض المؤمن أمره إلى الله فيما يصيبه؟

كيف تجد أثر الإيمان بالقضاء والقدر على الإنسان؟

قلت لمعلمي: وفق فهمي للقرآن وتدبري للحكمة الربانية، فالمؤمن بإيمانه بالقضاء والقدر ينسجم مع كل نواميس الكون، مع الحياة والموت، الصحة والمرض، الفقر والغنى، الضيق والسعة، وهذا الانسجام يولِّد في قلبه راحة وطمأنينة، وفي نفسه قناعة ورضًا، ليقينه بأن ما فاته لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليفوته، فلا يتأفف من المصيبة إن اشتد به العناء، ولا يلتفت لشماتة الجهلة والأعداء، بل يقوده اليقين إلى تفويض الأمر إلى مولاه، والتوكُّل عليه في كشف مصابه وبلواه، فيحظى بطيب العيش، ويأخذ الحياة مأخذًا سهلًا هيِّنًا، فلا يتعجَّل أمرًا، ولا يلقي بنفسه بين براثن الهمِّ قلقًا على أمر وقع له أو خير فاته، مستحضرًا قول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

إثراء

يقول الكاتب المشهور "ر. ن. سي. بودلي": وخلاصة القول أنني بعد انقضاء سبعة عشر عامًا على مغادرتي الصحراء، ما زلت أتَّخذ موقف العرب حيال قضاء الله، فأقبل الحوادث التي لا حيلة لي فيها بالهدوء والامتثال والسكينة، ولقد أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير. (ديل كارنيجي، دع القلق وابدأ الحياة، ص ٢٩١. تعريب عبد المنعم محمد الزيادي).

- **قارن بين موقف المؤمن وغير المؤمن من قضاء الله.**
- **كيف يستقبل المؤمن قضاء الله وقدره؟**

لاحظ

الإيمان بالقضاء والقدر لا يعني أن يكسل المؤمن، أو يتقاعس عن التكليف والعمل والكَدِّ، ثم يحتجَّ بالقدر ويقول: هكذا قضى الله وهكذا قدَّر الله، بل لا بدَّ من العمل ثمَّ بعده التسليم والتفويض.

ناقش

يقول ديل كارينجي في كتابه "دع القلق وابدأ الحياة": ولست ألزمك أيها القارئ أن تكون جبريًا مؤمنًا بالقضاء والقدر، ولكن ألا ترى أنه من الأفضل حين تجتاح حياتنا عاصفة هوجاء لا نستطيع لها دفعًا أن نمتثل لما ليس منه بد؟

- هل الكاتب على حق فيما يقول؟ ما رأيك بهذا الكلام؟
- كيف ترد على من يقول: إن الإيمان والتسليم بالقضاء والقدر، يؤدي إلى القول بأن الإنسان مجبر ومسيَّر في هذه الحياة؟
- ما البديل عن الإيمان بالقضاء والقدر في مواجهة ما لا نستطيع دفعه؟

خلاصة

الإيمان بالقضاء والقدر لا يعني القول بالجبر والتسيير، بل الإنسان يعلم في قرارة نفسه أنه غير مجبر على أي اختيار يختاره أو فعل يفعله، لذا فالمؤمن لا يلتفت إلى هذه المغالطات، بل يطلب راحة قلبه وهدوء أعصابه بالإيمان بالقدر، ويستغني عن المهدئات والعقاقير، قَالَ الصحابي عبد الله بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: "والله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخَط" (شعب الإيمان للبيهقي: ١/ ٣٨٤).

نشاط

في ضوء مشاهداتك لمن حولك من غير المسلمين، كيف يتعاملون مع مسألة القضاء والقدر؟ وما أثر هذا على حياتهم؟ وبماذا تنصحهم ليصلوا إلى طمأنينة القلب؟

اكتب حول هذه النقاط موضوعًا وشاركه مع أصدقائك.

تربية النفس

قال لي المعلم الحكيم: إن للإيمان بالقضاء والقدر أثرًا على النفوس أريدك أن تستنبطه، فاقرأ النص الآتي بتفكُّر ثم أجب: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢].

ماذا تفهم من الآية السابقة؟

لماذا نهى الله سبحانه المؤمن عن تمني ما بيد الغير؟ وعلى ماذا يدل هذا التمني؟

من الذي قسَّم الأرزاق فأعطى هذا وحَرَم هذا؟

ماذا طلب الله من المؤمنين بعد ذلك؟

قلت لمعلمي:

الإنسان مفطور على حب التملك وإيثار النفس، يتمنى الخير لنفسه ويسعى إليه، لكن المؤمن يجاهد نفسه ويربيها على القناعة ونبذ الطمع والحسد، ويعوِّد نفسَه على قِصَر الأمل، فلا يتمنى تحصيل ما فاته من متاع أو لذة، لعلمه أنها قسمة الله تعالى التي رضيها له في هذه الحياة، فيقوى بذلك يقينه بالله تعالى ويرضى بقضائه وقدره، فيسأل الله تعالى أن يرزقه من فضله، وأن يختار له الخير، فإنه العليم بالأصلح له، يقول الله تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ وموجِّهًا عباده المؤمنين به أن يرضَوا بما قسم لهم، وأن يوقنوا أن اختيار الله لهم خير من اختيارهم لأنفسهم: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

عن الوليد بن عبادة بن الصامت ﷺ -الوليد أحد التابعين ووالده عبادة صحابي جليل- قال: دخلت على أبي وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي. فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أول ما خلق الله القلم قال اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة"، يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار. [حديث صحيح رواه الإمام أحمد: ٢٢٧٠٥].

يعاني كثير من الناس اضطرابًا نفسيًّا إذا ما جرت أقدارهم على غير ما يشتهون، وربما أثَّر ذلك في إيمانهم ويقينهم، هل تجد في وصية عبادة بن الصامت لابنه وسائل لتربية النفس على اليقين بالله وبالقضاء والقدر والتدريب عليها؟ اشرحها.

إثراء

ارجع إلى كتاب «**روح الطهارة**» من هذه السلسلة، وتعرَّف على العلاقة بين الطهارة الباطنية والطهارة الظاهرية وأثرهما في سمو الروح وتربية نفس.

لتربية النفس على اليقين والإيمان بالقضاء والقدر وسائل عدة، منها: التعود على القناعة بما رزق الله، وترك الحسد وتمني ما بيد الآخرين، واستحضار أن الله بحكمته يعلم ما يصلح للإنسان وما لا يصلح له، أليس هو القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]؛ فربَّ عطاء يحمل الحرمان في طيَّاته، وربَّ حرمان فيه عين العطاء، وعلى المؤمن إدامة استحضار عظيم قدرة الله تعالى، وأن لا شيء يخرج عن سلطانه، وأنه لا متصرِّف في كونه إلا هو، فما أصاب المرءَ من سراء أو ضراء فهو من الله، لا كاشف للضر إلا هو ولا معطي للخير إلا هو، فيسأل الله أن يكشف عنه الضر، وأن يرزقه من فضله الواسع العميم. قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "الرضا أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمد أحدًا على رزق الله، ولا تلم أحدًا على ما لم يؤتك الله، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره" (شُعَب الإيمان للبيهقي: ١/ ٣٨٤).

خلاصة

تربية القلب

قال المعلم الحكيم: قد أحسنت الاستنباط، وأريدك أن تستنبط أثر الإيمان بالقضاء والقدر على القلب، فاقرأ قول الله تعالى ثم أجب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

ماذا تفهم من الآية السابقة؟

ما السبيل إلى طمأنينة القلب بحسب الآية؟

ما العلاقة بين ذكر الله تعالى وبين الإيمان بالقضاء والقدر؟

قلت لمعلمي:

قلب المؤمن رقيقٌ صافٍ شفافٌ، سريع التأثر بالمكدِّرات الدنيوية؛ من ذنوب أو مصائب ومِحَن، وكذا بما يعتريه من شبهات تستهدف إيمانه، فإذا تكدَّر اضطرب، وإذا اضطرب تشوَّش إيمانه ويقينه، ولا يسكن إلا بذِكر الله تعالى، فإذا سكن عاد إيمانه ويقينه ناصعًا كأنما تجدد.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الإيمان ليخلَق -يبلى- في جوف أحدكم كما يخلَق الثوب الخَلِق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم" [رواه الحاكم في المستدرك: ٥، وصححه الألباني].

فالمؤمن يربِّي قلبه على كثرة الذِّكر، ويستعمل العلاج كلَّما أصابه الدَّاء؛ ليجدِّد فيه الإيمان واليقين فيتولَّد فيه طمأنينة وسلام، يصل به إلى التصديق الجازم الذي لا شكَّ فيه، ويستقبل أقدار الله بكامل الرضا.

تربية العقل

قال المعلم الحكيم: لا زلتَ موفَّقًا في استنباطك، مسدَّدًا في إجاباتك عن دور الإيمان بالقضاء والقدر في حياتك، وأريدك أن تشرح أثر ذلك على عقلك، وابدأ بما قاله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٤﴾ [الجاثية: ٣، ٤].

ماذا تفهم من النص السابق؟

لماذا دعانا الله سبحانه للتفكر في آيات السماوات والأرض؟

كيف يؤدي التفكير العقلي في هذه الآيات إلى اليقين؟

قلت لمعلمي:

إن المؤمن يروِّض عقله بالتفكُّر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى، يجيل الطرف في السماوات والأرض مرارًا وتكرارًا قائلًا: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩١]، فينظر بعين عقله في كلِّ آية في الكون، فيجد دليلًا على عظمة الخالق وقدرته وحكمته وإبداعه، فيستقر في عقله إيمان جازم بوجوده، ويقين كامل بحكمته، وكلما زاد تفكيره ازداد يقينه، حتى يؤول به الحال إلى التسليم المطلَق والتفويض التام، بخلاف غير المؤمن الذي لا يُعمِل عقله ولا يتفكر في آيات الله، حتى يصل إلى الحال التي وصفه الله بها حين قال: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج: ٤٦].

إثراء

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾ [الملك: ٣، ٤].

- إلى ماذا دعا الله سبحانه وتعالى في هذه الآية؟
- على ماذا يدل عدم وجود أي عيب في خلق السماوات والأرض؟
- لماذا كُرِّر الأمر بإعادة النظر؟ وما أثره على العقل؟

الخلاصة

النظر في خلق السماوات والأرض وما فيهما من نظام بديع محكم لا يعتريه خلل ولا يشوبه اضطراب، يدرِّب العقل على الإيمان بأن لهذا الكون خالقًا وموجِدًا عظيمًا، وأنه عليم حكيم قادر، وكلما أعاد النظر وكرر التفكير قوي إيمانه بالله تعالى، وقوي إيمانه بقضائه وقدره إذ كل ما يراه في هذا الكون لا يخرج عما قضاه وقدَّره، حتى يصل إلى اليقين الذي لا مجال للشك معه.

ناقش

- ما أهم وسيلة تدرب القلب على الرضا بالقضاء والقدر؟
- لماذا لا يصل العلماء وذوو العقول الوقَّادة من غير المسلمين إلى اليقين؟
- اذكر وسيلة تدرِّب فيها عقلك على التسليم بالقضاء والقدر.

نشاط

قَالَ الصحابي مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ لبعض أصحابه: «اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً» وجاء في شرح هذا الأثر أن المقصود: اجلس معي نتذاكر ما يُثبِّت الإيمان في قلوبنا وما يزيدنا إيمانًا مع إيماننا.

أدر حوارًا بينك وبين أحد إخوانك حول مفهوم هذا الأثر، تصلان في نهايته إلى تدريب القلب والعقل والنفس على اليقين وتثبيت الإيمان بالقضاء والقدر، وشاركه مع إخوانك وأصدقائك.

اليقين بوعد الله

طاب لي الحوار مع معلمي الحكيم، فصرت أزوره مرارًا في رحاب بيت الله لأستفيد منه، وفي أحد المرات قال لي: اقرأ النص الآتي وتفكَّر فيه مليًّا، قال الله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨].

لمن العاقبة في الدنيا والآخرة؟

كيف يستشعر المؤمن اليقين بنصر الله وأن العاقبة للمتقين؟

ما الواجب على المؤمن أن يعمله للوصول إلى تلك العاقبة؟

ما الرابط بين اليقين والصبر، وكذا بين القضاء والقدر والصبر؟

قلت لمعلمي: قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، فالمؤمن يوقن أن الله تعالى -الذي كلَّفه بالطاعة والانصياع لأمره ثم وعده على هذا بالنصر وحسن العاقبة- منجز وعده لعباده المؤمنين المتقين، أنهم هم المنصورون الغالبون في الدنيا، وأن لهم حسن الدار في الآخرة، ومنشأ هذا اليقين علمه أن الله قادر على ذلك بقول "كن"، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه عادل؛ لا يساوي في العاقبة بين المؤمن به المسلم له، وبين الكافر الذي لم يؤمن به، والذي عاث في الدنيا فسادًا ولم يقدم له طاعةً أمره بها ولا وقف عند حرمةٍ نهاه عنها، ويقدِّم مع يقينه هذا الأسباب اللازمة لهذا النصر، فيصبر ويجالد في تحصيلها،

ثم يعلِّق رجاءه باللّٰه في تحقيق النصر الموعود، فلا هو يتواكل على مجرد الوعد، ولا هو يعتمد على الأسباب فقط. فإذا فعل ذلك فإنه يُتبعه بالتسليم التام لما سيصيبه بعدها، موقنًا أنه قدر اللّٰه تعالى، فيصبر عليه محتسبًا راضيًا، ومن شك في هذا حاد عن الطريق، ولا يملك من تغيير الأمر شيئًا.

إثراء

تفكر في قوله ﷺ: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، واللّٰه ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا اللّٰه، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» [رواه البخاري: ٣٦١٣].

- **قارن بين صاحب اليقين القوي والضعيف في الصبر والثبات على الإيمان.**
- **كثيرًا ما يصيب صبرَ الإنسان ضعف في انتظار الفرج والنصر فيستعجله، هل تجد في الحديث دواء لعلاج هذا الاستعجال؟ اشرحه.**

الخلاصة

إنما النصر مع الصبر، فالمؤمن لا يستعجل نصر اللّٰه، ليقينه بتحقيق وعده، وكلما كان يقين المؤمن قويًّا زاد صبره وحسن توكله، وفوَّض الأمر إلى خالقه.

التقويم

١ وضِّح أهمية اليقين والقضاء والقدر في حياة المسلم.

٢ ما موقف المؤمن من نزول المصيبة؟ ولماذا؟

٣ كيف يحصل المؤمن على طمأنينة القلب؟

٤ لماذا يجب على المؤمن أن يراعي قلبه ويتفقده كل حين؟

٥ ما شروط تحقيق النصر الذي وعد الله به؟

٦ ما الفرق بين استعجال النصر الذي وعد الله به وبين الشك فيه؟

٧ ضع علامة صح أو خطأ وصحح العبارات الخاطئة فيما يلي:

١. ( ) الإيمان بالقضاء والقدر يؤدي إلى القول بأن الإنسان مسيَّر وليس مخيَّرًا.

٢. ( ) الإيمان بالقضاء والقدر يعني التكاسل والتقاعس عن العمل.

٣. ( ) من أسباب النصر المادية الصبر.

٤. ( ) الإنسان مفطور على الكرم والتخلي عما في يديه للآخرين.

٥. ( ) استعجال النصر يعني الشك فيه.

٨ علِّل ما يلي:

١. المؤمن بالقضاء والقدر ينسجم مع نواميس الكون.

٢. نهي الله تعالى المؤمن أن يتمنى ما بيد غيره.

٣. تربية النفس والقلب والعقل على اليقين ضرورة في حياة المسلم.

الصبر ودوره في الحياة

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يشرح أهمية وأثر الصبر في حياة المسلم الدنيوية.
- يشرح أهمية الصبر وأثره في الآخرة.
- يدرك أن الصبر لله لا يعني الخنوع والخضوع والجبن.

أهمية الصبر وأثره في حياة المسلم

تجدد اللقاء بيني وبين معلمي، وتشعبَت النقاشات، ووصلَت لدور الصبر في الحياة وأثره على الإنسان، **فقال لي المعلم الحكيم:**

اقرأ الحديث الآتي وتفكر فيه، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» [رواه البخاري: ١٤٦٩، ومسلم: ١٠٥٣].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: "الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ" [كتاب الزهد لوكيع ٢٠٣].

ما أهمية الصبر في حياة المسلم الدنيوية؟

كيف يؤثِّر الصبر على حال المسلم؟

لماذا كان الصبر خير عطاء يُعطاه المسلم؟

كيف حال من قلَّ صبره؟ هل يحالفه التوفيق والنجاح؟ ولماذا؟

لماذا كان الصبر نصف الإيمان؟

ما أثر الصبر على إيمان الإنسان؟ وهل يمكنه الثبات على الإيمان دون صبر؟ علل رأيك.

قلت لمعلمي: للصبر ضرورة ملحة وأهمية كبيرة في حياة المؤمن، سواء على صعيد الدنيا أو الآخرة، فالصبر طريق النجاح في كل شيء؛ يُحَسِّن الحياة، ويساعد على اتخاذ أفضل القرارات، وهو القوة والعتاد في مواجهة المصاعب والمصائب، فمن اعتاد الصبر في أموره عاش خيرَ عيشٍ، وأدرك منازل السعداء الذين إنما أدركوها بالصبر.

والصبر ضرورة دينية ليَثْبُتَ المؤمن على دينه في الفتن، ويبتعدَ عن الشهوات المحرمة، ويحلُمَ عن الانتقام عند الغضب، ويتسِّعَ صدره عند الضجر، ويقنعَ بالكفاف واليسير.

وهو عون على دوام الطاعة، ولزوم العبادة والاستقامة، وهو الزاد الذي يحتاجه كل أحد؛ يحتاجهُ المريض إذا اشتكى، والمصاب إذا ابتُلِي، والمرأة في بيتها، والأب في أسرته، والمعلم في مدرسته، وطَالِبُ العِلم في دراسته، والموظف في إدارته، والتاجِر في تجارته، والعامل في خدمته.

فلهذا كان الصبر نصف الإيمان، وصدق النبي ﷺ إذ يقول: "والصبر ضياء" [رواه مسلم: ٢٢٣]، وإنما يحتاج المؤمن إلى الضياء لينير دربه إن وقع في حيرة؛ ليصل إلى الهداية والطريق المستقيم.

يقول عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: **"أفضل عيشٍ أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا"**، [كتاب الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا ص٢٣].

- **ما العلاقة بين طِيب العيش والصبر؟**
- **ما وجه الشَّبَه بين الرجل الكريم والصبر؟**

إثراء

فوائد الصبر في الحياة

قال لي معلمي الحكيم: تعلم أن أهمية أي شيء إنما تكمن في فوائده، ولو سألتَ نفسك هذه الأسئلة فستتعرَّف بلا شك على فوائد الصبر في حياتك..

هل يمكن أن تنجح في جامعتك دون دراسة وجِدٍّ؟ فإن كنت تريد التفوق ما الذي عليك فعله؟

ما مدى تحملك للدراسة وقت التعب والحاجة للنوم؟ وما الذي يعينك عليها؟

إذا مر عليك موقف عصيب، وأصيب كل من حولك بحالة من الذعر الشديد بسببه، **ما** أفضل شيء يمكن أن تفعله حتى تتخذ قرارًا سليمًا؟

ماذا لو أصابك الذعر مثلهم ثم استفقت بعد مدة من ذعرك؟ ماذا تكون خسرت؟

هل تدرك أثر الذعر على عقلك؟ هل تشعر أنه مغلق تمامًا؟ كيف يمكن لعقلك أن يكون منفتحًا في مثل هذه المواقف؟

الصبر سبب للتفوق

إن المؤمن نشيط مُجِدٌّ في عمله، قوي أمين فيما أُوكِل إليه، لا يرضى بما دون مرتبة التفوق، ويعلم أنه لن يصل إليه حتى يبذل الجهد المضني في سبيله، فيستعين على ذلك بالصبر ويتحمل المشاق حتى يناله.

الصبر يساعد على اتخاذ قرارات سليمة

المؤمن ثابت في الأزمات، رابط الجأش مهما ذعر من حوله، لأنه يعلم أن الهدوء ورباطة الجأش أفضل بكثير من أن يعدو ويتخبط هنا وهناك في خوف وذعر، ولأنه يعلم أيضًا أن القلق والجزع لا يغير من حاله شيئًا، بل على العكس يزيد الحالة سوءًا، فالصبر يورثنا التأني في التفكير؛ فتصدر قراراتنا عن عقلانية لا عن انفعالية تودي إلى المهالك، والصبر يساعدنا على أن نتخذ قرارات أفضل؛ لأنه يجعلنا في معزِل عن التخيلات التي تفسد علينا حكمنا ورأينا.

الصبر يوفر الجهد والوقت والمال

إن الثبات ورباطة الجأش توفر الكثير من الجهد والوقت والمال، فعدم الصبر في أي موقف لا بد أن يخسر معه المرء شيئًا من الجهد أو التفكير أو الوقت أو المال، بسبب الاضطراب الذي يُخرِج المرء عن طبيعته، ويفقده القدرة على التصرف المناسب في الوقت المناسب.

الصبر يعلمنا أن نتعامل مع الأشياء بعقل منفتح

المؤمن يعلم مالا يعلمه كثير من الناس، وهو أن الانتظار عمل، نعم، إن انتظار الفرج عبادة، فليس كل شيء يمكن تحقيقه عن طريق الحركة والفعل، فأحيانًا يكون كل ما يحتاجه المرء هو قليل من الانتظار.

نشاط

أدر نقاشًا مع أصدقائك حول فوائد الصبر على الإنسان ودوره في تحسين الحياة، اكتب النتائج وشاركها مع أصدقائك.

ناقش

قال أحد الأئمة: مَنْ أَجْمَعَ عَلَى الصَّبْرِ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ حَوَى الْخَيْرَ، وَالْتَمَسَ مَعَاقِلَ الْبِرِّ وَكَمَالَ الْأُجُورِ. [كتاب الصبر لابن أبي الدنيا ص١١٣].

- ناقش هذا القول واربطه بما مر معك من أهمية الصبر وضرورته.
- ما عاقبة من نوى الصبر في كل أموره؟
- أين تكمن مجامع البر وكمال الأجور؟
- إن كانت نتيجة الصبر في الدنيا كل هذا الخير فما نتيجته في الآخرة؟

الصبر سبيل المجد والمعالي، وكل ناجح في الدنيا إنما حقق آماله بالصبر؛ ولولا الصبر لغرق في همومه، ولضاق ذرعًا بأحزانه وغمومه، ومن ترك الصبر آل حاله إلى حرمان، وما فات أحدًا كمالٌ إلا بالاستعجال وضعف قدرته على الصبر والاحتمال، فالحكمة تقول: من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وما أروع قول الأحنف بن قيس حين قيل له: ما أصبرك؟ فقال: الجزع شر الحالين، يباعد المطلوب، ويورث الحسرة، ويبقي على صاحبه عارًا. [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر ص١٣٠].

وإذا كانت الدنيا – التي لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة- لا تُنال إلا بالصبر، فكيف بالجنة التي عرضها السماوات والأرض؟! لا شك أن الصبر لنيلها أوجب، والسعي لها آكد، ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالتقوى فقال سبحانه: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦].

خلاصة

تربية النفس والقلب والعقل على الصبر للّٰه

قلتُ لمعلمي: هذه المعاني جميلة، ولكن كيف أحولها إلى واقع في حياتي؟ كيف أدرب نفسي وعقلي وقلبي على الصبر؟ لأني أجد نفسي تنزع للجزع، وقلبي يطير عند الشدائد، ويتشتت عقلي عندما تقع المصيبة.

فقال لي كعادته: اقرأ الحديث الآتي وتأمل فيه جيدًا، عن ابن عباس ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: «يا غلام -أو يا غليم- ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ فقلت: بلى. فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا» [حديث صحيح رواه الإمام أحمد: ٢٨٠٣].

ماذا تفهم من هذا الحديث؟

ما المحاور التي جمعتها هذه الوصية؟

هل تجد في الحديث نصًّا على القضاء والقدر؟ ما هو؟

في الحديث إشارة إلى اليقين فما هي؟

ما أسباب النصر بحسب الحديث؟

ثم تابع معلمي قائلًا: هذا الحديث أصل من أصول الدين، جامع لأبواب الخير؛ فمن ذلك: مراقبة الله تعالى، والإيمان بالقضاء

والقدر، واليقين، والصبر، وذكرها مجتمعة في الحديث يبين العلاقة المتلازمة والمتكاملة بين هذه الأبواب، وأن على المؤمن أن يدرب النفس والقلب والعقل على الالتزام بها والتعوُّد عليها.

إن الصبر من أشقِّ الأمور على النفس والقلب، ولكن من الممكن أن تهون هذه المشقة حتى تصير كأنها غير موجودة، قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله: "من صبر فما أقل ما يصبر، ومن جزع فما أقل ما يتمتع" [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر ص١٠١]؛ فمن تعوَّد على الصبر لا تشعر نفسه بمشقته ولا قلبه بمرارته، بل يشعر في قلبه حلاوة للصبر لأنه يفضي به إلى الجنة. وقال الإمام ابن عون رحمه الله: "كل عمل له ثواب يعرف إلا الصبر، قال الله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠]، قال: كالماء المنهمر" [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر ص ٢٩]، وقال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله: "لم يعط العباد أفضل من الصبر؛ به دخلوا الجنة" [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر ص ٥٠].

وأمَّا عقل المرء فيزداد بالصبر قوَّة وحكمة، وقد قَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ: "الصَّبْرُ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْعَقْلِ، وَبِقَدْرِ مَوْلِدِ الْعَقْلِ يُنَمَّى الصَّبْرُ" [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر ص ١١٠].

كانت أمُّ أبي هريرة ﷺ امرأة كافرة، وكانت شديدة مع ابنها لأنه أسلم، وخصوصًا في محاولاته معها لتسلم، لكنه صبر متحليًا بالأمل، مستعينًا بدعاء النبيِّ ﷺ أن يهديها، حتى أسلمت.

- **لماذا كان أبو هريرة حريصًا على إسلام أمِّه في رأيك؟ وكيف وصل إلى مراده؟**
- **ارجع إلى صحيح مسلمٍ واكتب الحديث الذي رواه أبو هريرة في إسلام أمِّه.**

إثراء

خلاصة

المؤمن يصبر على هدفه حتى يصل إليه، فهو يستعين بربه ولا يعجز ولا يجزع، بل هو دائم الأمل بربه أنه إن قدَّم الأسباب أعطاه المراد، فإن اعترضته الصعوبات واجهها بالصبر والتوكل على الله، حتى يذلِّلها ويمضي إلى هدفه، ويحاول الوقوف كلَّما تعثَّر، قال مالك بن دينار: "ما من أعمال البر عمل إلا ودونه عقيبة، فإن صبر صاحبها أفضت به إلى روح وإن جزع رجع" [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر ص ٤٢].

فإذا علم المؤمن ذلك تحرَّر من الضغوط التي تسبِّبها تلك الصعاب، وزال عنه الغضب من تأخُّر الوصول إلى الهدف، وإن كان قُدِّر عليه ألا يصل قابَل ذلك بالرضا التامِّ والتسليم الكامل، قال بكر بن خنيس: "مررت بمجذوم وهو يقول: وعزتك وجلالك لو قطعتني بالبلاء قطعًا ما ازددت لك إلا حبًّا" [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر ص ١٣٠]؛ وما هذا إلا لعلمه أن في الآخرة أجرًا لسعيه، وثوابًا لصبره، ونعم الأجر ونعم الثواب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ [الزمر: ١٠].

ناقش

- كيف يحرر الصبر نفسك من الضغوط؟
- ما العلاقة بين صبرك واتخاذك القرارات؟
- الصبر عبادة من العبادات فما جزاء الصابر في الآخرة؟

النتيجة

للصبر أثر نفسي على المؤمن يُشعِره بالراحة من الضغوط والاضطرابات، وأثر على قبله يشعره باليقين والاطمئنان لمآله في الدنيا والآخرة، وأثر على عقله يورثه التأني والحكمة وقوة البصيرة.

الصبر لا يعني الخنوع والخضوع والجبن

قلت لمعلمي: بعض الناس يصفون الصابرين بالضعف أو البلادة.

فقال لي متسائلًا: وما المعيار؟ وما العلاقة بين الصبر والضعف؟

ثم دعاني لأقرأ الآيات الآتية متفكِّرًا فيها: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩ - ٢٥١].

ماذا تفهم من النص السابق؟

لماذا شرب معظم جيش طالوت من النهر؟ ما علاقة الصبر بهذا؟

ما العلاقة بين الصبر والشجاعة؟ وهل يمكن أن يعني الصبر الخنوع والجبن؟ علِّل رأيك.

أين تجد في النص معنى الحكمة القائلة: إن النَّصر مع الصَّبر؟

تابع معلمي قائلًا: الصبر عنوان الشجاعة، والشجاعة تنافي الخنوع والخضوع، وترك الأخذ بالأسباب والمطالبة بالحقوق، فالصبر لا يعني العجز والجبن والخنوع.

قيـلَ لعبـد الله الْبَطَّـالِ رحمـه الله، وكان قائـدًا شـجاعًا: "مَـا الشَّـجَاعَةُ؟ قَـالَ: صَبْـرُ سَـاعَةٍ" [رواه ابـن أبـي الدنيـا فـي كتـاب الصبـر ص٤٤]؛ فالمؤمـن يطالـب بحقـه الـذي كتبـه الله لـه، ويسـعى فـي أداء الواجـب الـذي فرضـه عليـه، وهـو متعبَّـد بالأخـذ بالأسـباب المشـروعة للوصـول إلـى حقـه وأداء فرضـه، وقـد قـدَّم طالـوت الأسـباب؛ مـن إعـداد العُـدَّة واختبـار جنـده بامتحـان الشـرب مـن المـاء ليميـز الصابريـن مـن العاجزيـن الخائريـن، ثـم طلـب العـون مـن الله وسـأله الثبـات، فحـاز الفـلاح والنجـاح.

ناقش

- **إذا أسـاء إليـك أحـد مـا؛ فصبـرت ولـم تـرد الإسـاءة بالإسـاءة، فهـل هـذا خنـوع وعجـز منـك؟ علِّـل رأيـك.**
- **مـا الفـرق بيـن الصبـر الـذي هـو مـن بـاب كـرم الأخـلاق، وبيـن الجبـن والخنـوع؟**

الخلاصة

الصبـر قـوة نفسـية وقلبيـة وعقليـة وبدنيـة، ولا يصبـر إلا القـوي، ومـن القـوة أن يكـون الصبـر فـي محلـه ولا يتعداه، فالصبـر فـي غيـر مكانـه خنـوع وخضـوع، فإذا صبـرت علـى أخيـك لتجـاوزه حـده أو فـي مظلمـة ظلمـك إياهـا فـي أمـر دنيـوي فعفـوت عنـه؛ فهـذا كـرم أخـلاق منـك، وإيثـار لـه علـى نفسـك، تؤجـر عليـه بـإذن الله، فعـن أبـي كبشـة عمـرو بـن سـعد الأنمـاري ﷺ قـال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «ثلاثـة أقسـم عليهـن وأحدثكـم حديثًـا فاحفظـوه. قـال: مـا نقـص مـال عبـد مـن صدقـة، ولا ظلـم عبـد مظلمـة فصبـر عليهـا إلا زاده الله عِـزًّا، ولا فتـح عبـد بـاب مسـألة إلا فتـح الله عليـه بـاب فقـر أو كلمـة نحوهـا» [رواه الترمـذي: ٢٣٢٥، وصححـه الألبانـي].

فأمـا إذا كان الصبـر فـي حرمـات الله، أو فـي انتقـاص ديـن الله، فليـس هـذا محـل الصبـر، بـل ينقلـب الصبـر فيـه إلـى عجـز وخنـوع وخضـوع. و لنـا فـي رسـول الله ﷺ قـدوة فـي هـذا، فقـد قالـت عائشـة ﷺ: «مـا خُيِّـر النبـي ﷺ بيـن أمريـن إلا اختـار أيسرهمـا مـا لـم يأثـم، فـإذا كان الإثـم كان أبعدهمـا منـه، والله مـا انتقـم لنفسـه فـي شـيء يؤتـى إليـه قـط، حتـى تنتهـك حرمـات الله، فينتقـم لله» [رواه البخـاري: ٦٧٨٦]، **فكان عليـه الصلاة والسـلام يصبـر فيمـا يؤذى بـه فـي نفسـه ومالـه، فإذا أوذي فـي دينـه، أو انتُهِكَـت حرمـة مـن حرمـات الله؛ غضـب لله ولـم يصبـر، وانتقـم لله ولـم يعـفُ، لأن العفـو والصبـر فـي هـذا المقـام مذمـوم، بـل هـو عجـز وخنـوع وخضـوع وليـس صبـرًا فـي الحقيقـة.**

التقويم

١ من أراد أن يكون من الصابرين ماذا يجب عليه؟

٢ ما الأمور التي يكون الصبر فيها مذمومًا؟

٣ متى يكون الصبر من المؤمن ومتى يكون الانتقام؟

٤ قارن بين الصبر والاستعجال وأثرهما على عاقبة الإنسان؟

٥ ما وجه الشبه بين الصبر والتقوى؟

٦ عدِّد آثار الصبر على حياة المؤمن؟

٧ وضِّح العلاقة بين الصبر واليقين، والقضاء والقدر؟

٨ كيف يؤثِّر الصبر على نفس المؤمن وعلى قلبه وعقله؟

٩ ضع علامة صح أو خطأ وصحِّح العبارات الخاطئة فيما يلي:

١. ( ) الصبر وانتظار الفرج يعني الخنوع والخضوع.

.....

٢. ( ) الصبر المحمود، هو الصبر على الإساءة الشخصية والدينية.

.....

٣. ( ) الاستعجال لا ينافي الصبر، ولا يؤدي إلى الحرمان.

.....

٤. ( ) الإنسان مفطور على الكرم والتخلي عما في يديه للآخرين.

.....

٥. ( ) الصبر من القيم الإسلامية العليا، ومن عزم الأمور.

.....

٦. ( ) الصبر يهدر الجهد والوقت والمال.

.....

٧. ( ) الصبر يعني انغلاق العقل والتفكير.

.....

تربية
فريدة متميزة

أهداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يشرح كيفية تربية النفس على الصبر.
- يدرك الرابط بين الأمل والرجاء عند المؤمن والارتباط بسعادة الدنيا والآخرة.
- يعدِّد الطرق والأساليب المعينة على الصبر وزيادته.

كيفية تربية النفس على الصبر

دخل علينا شهر رمضان، وأكرمنا الله بالصيام وأداء صلاة التراويح، وعندما زرتُ معلمي في العيد قلت له: شعرتُ في رمضان أن الله سبحانه وتعالى يدربنا على الصبر من خلال عباداته.

فقال لي: شعورك في محله، اقرأ النص الآتي بتأمل، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣].

ماذا تفهم من الآية الكريمة؟

بماذا أمر الله تعالى المؤمنين؟

لماذا قرن الله تعالى الصبر بالصلاة في الاستعانة؟

كيف تخفف الصلاة من مشقة الصبر التي تصيب النفس؟

قال المعلم الحكيم: **لا يشك أحد أن طعم الصبر مرٌّ، مثله في ذلك مثل الدواء المرِّ، ولكن هل يوجد عاقلٌ يمتنع عن تناول دواء المرض العضال الذي فتك بجسمه لأن طعمه مرٌّ؟!**

كذلك الصبر، فالمؤمن يعلم أنَّ عليه تحمُّل مراره للوصول إلى الفلاح والنجاح، ويعلم أنَّ عليه أن يوطِّن نفسه على احتمال المكاره دون تضجُّر أو شكوى؛ فينتظر النتائج مهما بعدت، مستعينًا بالصلاة ليتَّصل قلبه

بربِّه موقنًا بأنَّ الفرج آتٍ، وأنَّ من الحكمة ارتقابه في سكونٍ وطمأنينة، موقنًا أن الله معه، يعلم حاله، ويعلم حاجته، ويعلم صبره، وأنه جلَّ وعلا قادر على كشف ما به؛ فيزداد قوة على التحمل وجَلَدًا على الصبر.

والمؤمن دائم الترقِّي في درجات الخير، لعلمه أنَّ من لم يكن في ازديادٍ فهو في نقصان، فيعوِّد نفسه على الصبر ويربِّيها عليه عبر ثلاث رسائل يرسلها إلى نفسِه وهي:

١. **لا يدوم حال على حاله**، وبعد الليل لا بد من نهار، وبعد الظلمة لا بد من نور.

٢. **كلُّ مُرٍّ سيمرُّ**، ويبقى الأجر والثواب.

٣. **ما لا تستطيعين دفعه، فالجزع فيه لا يدفعه**، بل يحرمكِ أجر الصبر عليه.

إثراء

روي أن عيسى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "خَشْيَةُ اللَّهِ، وَحُبُّ الْفِرْدَوْسِ يُبَاعِدَانِ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَيُوَرِّثَانِ الصَّبْرَ عَلَى الْمَشَقَّةِ". [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر ص: ٤٢].

- ما العلاقة بين الزهد والصبر؟
- كثير من الناس يشكو من مشقة الصبر عليهم حتى إنهم قد يعجزون عنه، فهل تجد في الأثر السابق وسيلة لتربية أنفسهم على الصبر؟ اشرحها.

الخلاصة

الصبر عبارة عن استجماع قوة في النفس، لدعم المرء في قرار اتخذه تجاه موقف ما، منطلقًا من قناعته العقلية -بعد التأمل والتفكير- أن هذا القرار هو أفضل الخيارات المتاحة في التعامل مع هذا الموقف، لذا فالصبر فعل نفسيٌّ نابع عن قناعة عقلية؛ فالداعية إلى الله مثلاً مقتنع عقليًا أنه لا يملك هداية أحد، كما قال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]، **ومع هذا فهو يصبر في الدعوة إلى الله ويؤدي الواجب عليه، قال الله تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ:** ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

الأمل والرجاء

ذات صباح مشرق كنت أحلِّق في قول الله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٣ - ٨٧]، متفكرًا في عظيم نعمة الله على المسلم بدين الإسلام وتعاليم القرآن محدثًا نفسي:

ما هو الصبر الجميل؟

من أين استقى يعقوب أمله برجوع يوسف وأخيه إليه؟

هل شكوى الحزن والأسى إلى الله ينافي الصبر؟

أرسلتُ خواطري لمعلمي الحكيم عبر الجوال فأرسل إلي قائلًا:

المؤمن يصبر على ما ينزل به وقلبه متعلِّق بكرم خالقه ورحمة ربه، يحدوه الأمل ألا يطول على الصبر مقامه، وأن يصلح حاله، ويخرجه من محنته سالمًا غانمًا، فيدفعه أمله هذا إلى طلب الفرج من ربه فيرجوه رجاء المضطر ويدعوه دعاء الغريق، موقنًا أن الله قريب مجيب قادر على كشف الضر والبلوى، فلا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلًا، بل يصبر صبرًا جميلًا، لا شكاية فيه ولا اعتراض، وعن عمرو بن قيس المُلائي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣]، قال: "الرضا بالمصيبة، والتسليم" [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر ص٨٦]، لكن هذا الرضا لا يمنع مناجاة الله سبحانه لطلب النجاة من هذا البلاء، بل يسأله العافية ويشكو إليه المصيبة والتضرُّر منها، لقول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣]، يشكو إلى ربه ولا يشكو ربه إلى الناس بأن يقول: "لماذا يفعل الله بي ذلك؟" أو نحوه، فينال راحة النفس وطمأنينة القلب اللذين هما أساس السعادة في الدنيا، وله عند ربه في الآخرة من الأجر ما لا يعلمه إلا الله، الذي يوفيه إيَّاه بغير عدٍّ ولا حساب فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠]، وأي سعادة تعدل هذه السعادة؟!

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: ٩ - ١١].

إثراء

- لماذا ييأس الإنسان إن نزع الله منه النعمة؟
- بماذا يفتخر إن زال عنه الضر وأصابته النعمة؟ ولماذا؟
- كيف هو حال المؤمن مع السراء والضراء، مع النعمة والمصيبة؟

ناقش

- إذا نزلت بك المصيبة هل تشعر بالإحباط واليأس؟ وما أول شيء يخطر على بالك؟
- هل تجد في قلبك أملاً بأن الله سبحانه سيكشف البلاء؟ لماذا عليك أن تدعوه ليكشفه عنك؟
- إذا رُزِقت بنعمة هل تشعر بالفخر أن الله ميَّزك بها عن سائر عباده؟ ولماذا؟
- ما الواجب عليك تجاه هذه النعمة حتى لا تنقلب نقمة؟

إن غير المؤمن إذا حلت به مصيبة، فإنه يلاحظ المصيبة، ويجعل تركيز نظره على ضررها وأثرها عليه؛ فييأس ويقنط، وإذا أصابته نعمة لاحظ النعمة لا من رزقه بها؛ فيفرح ويتفاخر أنه إنما أوتيها على علم عنده، أو لعلو كعبه على أقرانه، أو وفرة حظه، والمؤمن بعيد كل البعد عن هذا، فإن أول ما يلاحظه عند نزول البلاء أن الله الخالق هو الذي ابتلاه بالمصيبة، فيصبر عليها ويشتغل قلبه أملًا به، ويلهج لسانه رجاء أن يصرفها عنه، وإذا أصابته النعمة لاحظ الرازق الذي رزقه بها؛ فيشكره عليها راجيًا خيرها مستعيذًا من شرها وفتنتها، فيكون حاله كما قال النبي ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له» [رواه مسلم: ٢٩٩٩]، ومن حاز الخير حاز السعادة، سعادة الطاعة وطمأنينة العيش في الدنيا، وسعادة الجزاء والجنة في الآخرة.

الخلاصة

التقويم

١ ما الرسائل التي يرسلها المؤمن إلى نفسه ليتعود على الصبر؟

٢ بيِّن كيف تكون الصلاة مُعينة على الصبر؟

٣ كيف حال المؤمن مع الأمل والرجاء؟

٤ لماذا كانت عاقبة المؤمن على صبره السعادة في الدارين؟

٥ قارن بين حال المؤمن والكافر عند نزول المصائب أو النِّعَم.

٦ ضع علامة صح أو خطأ وصحِّح العبارات الخاطئة فيما يلي:

١. ( ) ما لا تستطيع دفعه لا أجر لك في الصبر عليه.

.....

.....

٢. ( ) الصبر موقف نفسي وقرار فردي.

.....

.....

.....

.....

٣. ( ) الداعي إلى الله يظن أنه قادر على هداية الناس.

.....

.....

٤. ( ) المسلم لا يشكو بلواه لا للناس ولا لربه.

.....

.....

٧ علِّل ما يلي:

١. الإنسان ييأس إن نُزعت منه النعمة.

٢. عاقبة صبر المؤمن السعادة في الدارين.

٣. المؤمن يستمرئ طعم الصبر المرِّ.

٤. قرن الله الصبر بالصلاة في الاستعانة.

من قصص اليقين والصبر

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يذكر عددًا من قصص الصبر واليقين في القرآن والسنة والتاريخ.

قصة من سيرة النبي ﷺ

قال لي معلمي الحكيم:

إن في سيرة رسول الله ﷺ عِبَرٌ وعِظَاتٌ تُثَبِّت المؤمنَ وتعلمه الصبر واليقين، فاقرأ النص الآتي بتفكُّر ثم أجب:

جاءت قريش إلى أبي طالب -عمِّ النبيِّ ﷺ- فقالوا: يا أبا طالب، إنَّ لك سِنًّا وشَرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنهَه عنا، وإنَّا والله لا نصبر على هذا؛ مِنْ شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعَيب آلهتنا، حتى تكفّه عنّا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلِك أحد الفريقين.

فبعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأَبْقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تُحَمِّلني من الأمر مالا أطيق. فظن رسول الله ﷺ أنَّه قد بدا لعمِّه فيه أنه خاذلُه ومسلمُه، وأنه قد ضَعُفَ عن نصرته والقيام معه. قال رسول الله ﷺ: «يا عمِّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته» [رواه السهيلي في الروض الأنف: ٣/ ٤٥-٤٦، بسند ضعيف].

ماذا تفهم من هذه القصة؟

في جواب النبي ﷺ لعمه يقين تام أنه على الحق، أين تجد هذا في قول النبي ﷺ؟

أين تجد في القصة دلالة على عظيم صبر النبي ﷺ؟

على ماذا يدل ثبات النبي ﷺ على الدعوة إلى الله رغم التهديد والوعيد؟

ما أثر هذه القصة على صبرك ويقينك؟

قلت لمعلمي: إن للمؤمن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فإذا حاصرَتْه الفتن من كل جانب هرع إلى سيرته يبحث عن مواقف تشبه ما وقع به، ليستلهم منها التصرف الصحيح، ويستنبط منها الدروس والعبر، وفي هذه القصة يعلمنا النبي ﷺ معنى اليقين والثبات على الحق، في موقف تخون الشجاعة فيه أصحابها؛ تهديد بالاستئصال، استشفاع بالناصر حتى ظن أنه خاذله ومسلمه لعدوه، ومع ذلك لم يعرف الخوف إلى قلبه طريقًا، وقال قولًا جامعًا للحكمة والقوة والصبر واليقين: أمر الله أَولى عندي من كل دنياكم، حتى لو تعنَّيتم نزع الشمس من مسارها الذي تَسبَح فيه، ووضعتموها في يميني -ويعلم كل صاحب مسكة عقل استحالة هذا- ما تركت أمر الله في الدعوة إليه، ولو استطعتم وضع القمر في يساري ما أجبتكم إلى ما تريدون.

يقين وثبات، وصبر على الهدف، حتى لو كان الثمن الموت «حتى يظهره الله، أو أهلك فيه»، هذا اليقين وهذا الصبر جعل عمه يثبت معه ويصبر معه رغم شركه وكفره، فقد انتقل الثبات من قلب رسول الله ﷺ بكلامه هذا إلى قلب أبي طالب، مما جعله ينادي رسول الله ﷺ بعد أن ولَّى وقال: "أقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبدًا".

العبرة

صاحب اليقين ثابت على موقفه رغم المحن التي تعصف به، عينه على الهدف ما دام قلبه ينبض وصدره يخفق، إما أن يصل إليه وإما أن يموت دونه.

إثراء

ارجع إلى (صحيح البخاري: ٢٩١٠) واكتب قصة الأعرابي الذي حاول قتل النبي ﷺ وتأمل قوله ﷺ حين سأله الأعرابي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّه.

- **قارن بين هذه القصة والقصة الماضية.**
- **في جواب النبي ﷺ: "قلت: الله"، يقين تام أن الله عاصمه من الناس. اشرح ذلك.**

صبر موسى عليه السلام

قال لي معلمي الحكيم: وفي القرآن الكريم أيضًا قصص وعِبَر، فاقرأ الآية الآتية وتفكَّر في معانيها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: ٦٠].

ماذا تفهم من الآية السابقة؟

ما كان سبب هذا القول من موسى عليه السلام؟

لماذا أراد أن يبلغ مجمع البحرين؟

ماذا يريد من مقابلة الخضر عليه السلام؟

على ماذا يدل قول موسى (حُقُبًا)؟

هل تجد فيه ما يدل على الصبر في طلب العلم؟ كيف؟

عن أُبَيٍّ بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك" [رواه البخاري: ٤٧٢٥].

وموسى صاحب همَّة، يعزُّ عليه أن يفوته علمٌ لا يعلمه، وصاحب تواضعٍ يأخذ العلم من صاحبِه بغض النظر عن مَرتبته، سواء كان أدنى منه أو أعلى، فعَزم على الرحلة إلى الخضر واللقاء به والتعلم منه، فأخبر غلامه بعزمه هذا، وطلب منه أن يجهز له العدة لهذه الرحلة، وجعل الغاية الوصول إلى مجمع البحرين حيث يوجد الخضر، حتى لو اضطر أن يسير إليه حقبًا، والحقب مدة زمنية طويلة، أقلها سنة، فأي إصرار هذا على طلب العلم والصبر فيه، فالمؤمن إذا سمع بقصة موسى الكليم في صبره على

طلب العلم، شعر في نفسه دافعًا للصبر، وهانت أمامه العقبات التي تعترض طريقه في طلب العلم، هذا الطريق الذي من سلكه سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنَّة، كما أخبر النبي ﷺ.

ناقش

- ما الذي دفع موسى عليه السلام للسفر والبحث عن الخضر؟
- ارجع إلى سورة الكهف واستخرج من قصة موسى عليه السلام فيها: العهد الذي قطعه موسى عليه السلام على نفسه كي يصطحبه الخضر معه - المواقف التي تعرض لها موسى عليه السلام مع الخضر.

ارجع إلى كتاب «**فبهداهم اقتده**» من هذه السلسلة، واقرأ فيه عن صبر موسى عليه السلام وعناد فرعون.

العبرة

المؤمن يطلب العلم ويصبر في سبيله صبرًا عظيمًا ويربي نفسه عليه.

أمانة الراعي

قال معلمي الحكيم: اقرأ القصة الآتية واستخلص العبرة منها: **عن** نافع مولى عبد الله ابن عمر ﷺ قال: خرج ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له، ووضعوا سفرة له، فمر بهم راعي غنم، قال: فسلم.

فقال ابن عمر: هلم يا راعي، هلم فأصب من هذه السفرة.

فقال له: إني صائم...

فقال له ابن عمر وهو يريد يختبر ورعه: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونعطيك من لحمها فتفطر عليه؟

فقال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي.

فقال له ابن عمر: فما عسى سيدك فاعلًا إذا فقدها، فقلت أكلها الذئب؟

فوَلَّى الراعي عنه وهو رافع أصبعه إلى السماء وهو يقول: أين الله؟

قال: فجعل ابن عمر يردد قول الراعي وهو يقول: قال الراعي: فأين الله؟

قال: فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي ووهب له الغنم". [رواها البيهقي في شعب الإيمان ٤٩٠٨].

ماذا تفهم من هذه القصة؟

ما العِبرة التي تستخلصها منها؟

لماذا رفض الراعي بيع الشاة؟

ماذا قصد بقوله: فأين اللّه؟

ماذا كانت عاقبة صدقه وأمانته؟

إن المؤمن صادق أمين؛ ليقينه أن اللّه يطلع عليه ويعلم علانيته وسِرَّه، فإذا خلا بنفسه لم تَغُرُّه تلك الخلوة، بل هو يستحضر دائمًا أن اللّه معه يراه ويسمعه، لذلك لما اختبر ابنُ عمر الراعيَ فقال له: فأين اللّه؛ وجد هذه الصفات متحققة فيه، فقول الراعي إيمان، بل هو إحسان؛ إنه عبادة للّه كأنه يراه، فإن لم يكن يرى اللّه فإنه يعلم أنه يراه، وهذا عين اليقين.

امتُحن الراعي فنجح في الامتحان، ومن سنن اللّه أن للعبد عند كل مِحنة مِنحة، أبى أن يبيع الشاة ويأخذ ثمنها بالحرام، لأنه دائم المراقبة للّه في سرِّه، فأبدله اللّه خيرًا مما ترك.

صبر عن الحرام فأعطاه اللّه حريته، وأعطاه قطيع الغنم كلَّه مقابل تركه ثمن شاة واحدة.

فما يمنعك أن تكون كهذا الراعي صاحب اليقين في مراقبة اللّه، وصاحب الصبر على طاعة اللّه وعبادته، وصاحب الصبر عن حرمات اللّه؟

حدثت لعمر بن الخطاب ﷺ قصة مع الجارية صاحبة اللبن تشبه القصة التي حدثت مع ابنه، قالت فيها الجارية: إن كان عمر لا يعلمه فإله عمر يعلم. [رواها ابن عبد الحكم المصري في سيرة عمر بن عبد العزيز ص٢٣].

- **ارجع إلى كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز رحمه اللّه، واكتب القصة، وبيِّن وجه الشبه بين قصة عمر مع الجارية، وقصة ابنه مع الراعي.**
- **قارن بين ثواب الراعي وثواب الفتاة.**

إثراء

الداعية الصابر

قال معلمي الحكيم:

وفي واقعنا المعاصر نجد أمثلة طيبة تستحق الوقوف عندها، فدعني أقص عليك سيرة رجل مثال للصبر في الدعوة إلى الله، وفي الصبر على مشاق العيش باختياره، وفي اليقين بالله وأن ما عنده خير وأبقى، وفي اليقين بأن المستقبل للإسلام، وأن الناس بحاجة لدين الله ليسعدهم في الدنيا والآخرة؛ إنه الداعية عبد الرحمن السميط رحمه الله تعالى.

لقد كان من أبرز الدعاة في العصر الحديث؛ أسلم على يديه أكثر من ١١ مليون شخص في إفريقية خلال أكثر من ٢٩ سنة قضاها في نشر الإسلام في القارة السمراء، أي بمعدل حوالي ٩٧٢ مسلمًا يوميًّا، وبنى ٥٧٠٠ مسجد، وحفر ٩٥٠٠بئر، وأنشأ ٨٦٠ مدرسة، و٤ جامعات، و٢٠٤مراكز إسلامية.

قطع السميط على نفسه العهد أن يمضي بقية عمره في الدعوة إلى الإسلام هناك؛ كان كثيرًا ما يتنقل برًّا، يركب السيارة لمدة عشرين ساعة وأكثر ليصل إلى الأماكن النائية ليبلِّغ رسالة الإسلام، وأحيانًا يسير على الأقدام في الوحل، وقد سافر بالقطار في أكثر من أربعين ساعة بفتات الخبز.

كان يقوم بالزيارات التي يقطع فيها الساعات، بين طرق وعرة، وغابات مظلمة مخيفة، وأنهار موحشة في قوارب صغيرة، ومستنقعات منتنة؛ لأن همَّ الدعوة شغله الشاغل، حتى في اللقمة التي يأكلها، فإذا

وصل إلى قرية واجتمع أهلها قال لهم السميط: ربي الله الواحد الأحد، الذي خلقني ورزقني، وهو الذي يميتني ويحييني.

ومن أبرز أقواله رحمه الله:

"**سألقي** عصا الترحال يوم أن تضمن الجنة لي، وما دمت دون ذلك، فلا مفر من العمل حتى يأتي اليقين، فالحساب عسير، وهل تريدون مني أن أتوقف عن فعل الخير وملايين الناس بحاجة إلى من يهديهم؟ وكيف أرتاح جسديًّا، وفي كل أسبوع يدخل الإسلام العشرات من القبائل التي تعيش في إفريقية عبر برامجنا ومشاريعنا الدعوية والخيرية؟

وكيف نفعل ذلك ونحن نرى كل يوم أن المناوئين للإسلام لا يدخرون جهدًا ولا مالًا في سبيل إبعاد أبناء هذه القبائل التي كانت عربية مسلمة عن الإسلام، وينفقون كل سنة عشرات الملايين، ولديهم عشرات من العاملين في هذه البقعة الجغرافية؟"

كانت سلسلة رحلاته في أدغال إفريقية وأهوال التنقل في غاباتها محفوفة بالمخاطر، لأجل أن يحمل الإسلام والغوث لإفريقية، بيد فيها رغيف، ويد فيها مصباح نور وكتاب.

قضى السميط ربع قرن في إفريقية، كما مارس الدعوة في كل من الأسكيمو والعراق، وكان يأتي لبلده الكويت للزيارة أو العلاج فقط، واستمر في الدعوة بعد أن طعن في السن وثقلت حركته وأقدامه، ورغم إصابته بالسكر وبآلام في قدمه وظهره، وفي أواخر سنواته صارت حالته الصحية غير مستقرة، وأخذ يعاني من توقف في وظائف الكلى ويخضع لعناية مركزة في المستشفى، واستمر على تلك الحال حتى توفي يوم الخميس ١٥ آب/أغسطس ٢٠١٣.

ما رأيك بهذا الرجل؟

ما الدافع العجيب الذي جعله يقدم على كل هذا البذل والعطاء؟

ما الذي جعله يصبر على كل هذا العناء؟

بماذا شعرت وأنت تقرأ سيرة هذا الداعية؟

لماذا لم يتوقف عن الدعوة رغم كبر سنه وشدة مرضه؟

ما رأيك في نتيجة جهده وعمله بعد كل هذه السنين؟

هل يمكنك أن تفعل مثله؟ ولماذا؟

هل تجد في كلام هذا الداعية دليلًا على شدة يقينه؟ أشر إليه.

قلت لمعلمي الحكيم: إن عبد الرحمن السميط رحمه الله مثال يحتذى لكل مسلم، وليس من باب المبالغة إن قيل إنه حجة الله على عباده في هذا الزمن، نذر حياته لله وللدعوة إليه، وصبر في الله أيما صبر، لا يثنيه كبر ولا شيخوخة، ولا اعتذر بمرض ولا حاجة ولا فقر، كان في قلبه من اليقين ما حمله على تجاوز كل الصعاب، ومداومة السير في طريق الدعوة الذي اختاره، فأقر الله عينه بنتيجة عمله في الدنيا، فالنبي ﷺ يقول: «فوالله لأن يُهْدَى بك رجل واحد خير لك من حُمْرِ النَّعَم» [البخاري ٢٩٤٢]، فكيف بهذا العدد الذي أسلم بسبب السميط؟

العبرة

من المؤمنين رجال جعلهم الله حجَّة على عباده في الأرض؛ بما حوته قلوبهم من يقين راسخ، وبما صبروا عليه من أعمال يدَّعي كثير من الناس أنها شبه مستحيلة، حتى إذا ظهر صبر هؤلاء اقتدى بهم أصحاب الهمم، وسكتت ألسنة الذين يعتذرون بالعجز وقلة الحيلة.

نشاط

ارجع إلى كتب السيرة والتاريخ، واستخرج منها قصصًا تتحدث عن قوة اليقين بالله في قلوب أصحابها، وتتحدث عن الصبر وعواقبه الجميلة، واستخلص منها العبرة وشاركها مع أصدقائك.

الخاتمة

الصبر واليقين فضيلتان عظيمتان حرص عليهما الصالحون، وكانتا أظهر ما يكون في رعيل الإسلام الأول؛ جيل الصحابة الكرام ﷺ، الذين صحبوا النبي ﷺ وتعلموا منه كيف يكون الصبر واليقين حقًّا، ثم طبقوا ذلك عمليًّا في حياته وبعد مماته ﷺ، فحملوا رسالة الإسلام، وسعَوا في نشرها في بقاع الأرض.

ثم حمَل الراية من بعدهم تلاميذهم والصالحون من هذه الأمة، فبذلوا أعمارهم وجهودهم وأموالهم في نشر الإسلام وتعليم الناس أحكامه، وفي عمارة الأرض في شتى مجالات الحياة، فبلغت الأمة الإسلامية مجدًا عظيمًا، وصارت منارة لشعوب الأرض في أمور الدين والدنيا.

ونحن اليوم في أمس الحاجة إلى التسلح بالصبر واليقين، ولا عذر لمسلم في عدم السعي لتحصيلهما، فميدان الصبر واليقين قائم، والنماذج الحية ماثلة أمامنا، فينبغي على كل مسلم أن ينزل هذا الميدان، ويبرهن على صدق إيمانه بالتحلي بهاتين الفضيلتين، فيعظِّم شعائر الله، ويقف عند حدوده، ويعمل بالتشريع الذي ارتضاه لعباده بحب ورضا وتسليم.

بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين، كما قال ابن تيمية رحمه الله، وقد أخذ هذا من قوله جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤]، وطلب الإمامة في الدين من صفات عباد الرحمن التي ذكرها الله عز وجل عنهم في سورة الفرقان، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤]،

وبالصبر واليقين يقف المسلم أمام الحرام فلا يقربه مهما كان مغريًا، ولو كان الجو خاليًا من أي رقيب.

وبالصبر واليقين يحترم حقه وحقوق الآخرين فتنتظم الحياة.

وبالصبر واليقين يمسك بالكتاب فلا يتركه حتى ينهيه، ويطلب العلم مهما بذل فيه من جهد.

وبالصبر واليقين يظل يحاور الآخر ويبين له جمال الإسلام بدون أن ييأس منه.

وبالصبر واليقين لا يترك الدنيا لغير المسلمين، بل يعمل في عمارتها دون ملل أو إضاعة وقت، فيصبر في مجال عمله على تعلم ما يزيده كمالًا وإتقانًا، ويصبر على تحويل علمه إلى عمل على أرض الواقع.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

والحمد لله رب العالمين.

مركز أصول
www.osoulcenter.com

يسلِّط هذا الكتاب الضوء على أهمية الصبر واليقين في حياة المسلم؛ كالصبر على الطاعات، والصبر عن المحارم، والصبر في النوازل والمصائب، واليقين بالله تعالى وبوعده؛ ليستكشف القارئ آثار الصبر واليقين في سلوك الإنسان ونفسه وعمله، وليخلص إلى معرفة العلاقة بين القضاء والقدر، والصبر واليقين، والطمأنينة والرضى.

وسيجد القارئ في نهاية الكتاب عددًا من القصص؛ من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن قصصَ الأنبياء، ومَن أحوال الصحابة والتابعين، ومن واقعنا المعاصر، مما يساعد على زيادة اليقين والصبر، ويشجع على التأسي بهم في ذلك.

يأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة السلوك والتزكية، التي تضم أربعة عشَر كتابًا بُنِيَت وَفق طريقة التعلم الذاتي؛ لإكساب المسلم ما يحتاج إليه من معارف تُعينه على تهذيب نفسه وتزكيتها، بُغية الثبات على دين الله، والدعوة إليه ونشره بين الآخرين.

لتحميل هذا الكتاب وغيره من الكتب، من خلال متجر أصول:

osoulstore.com